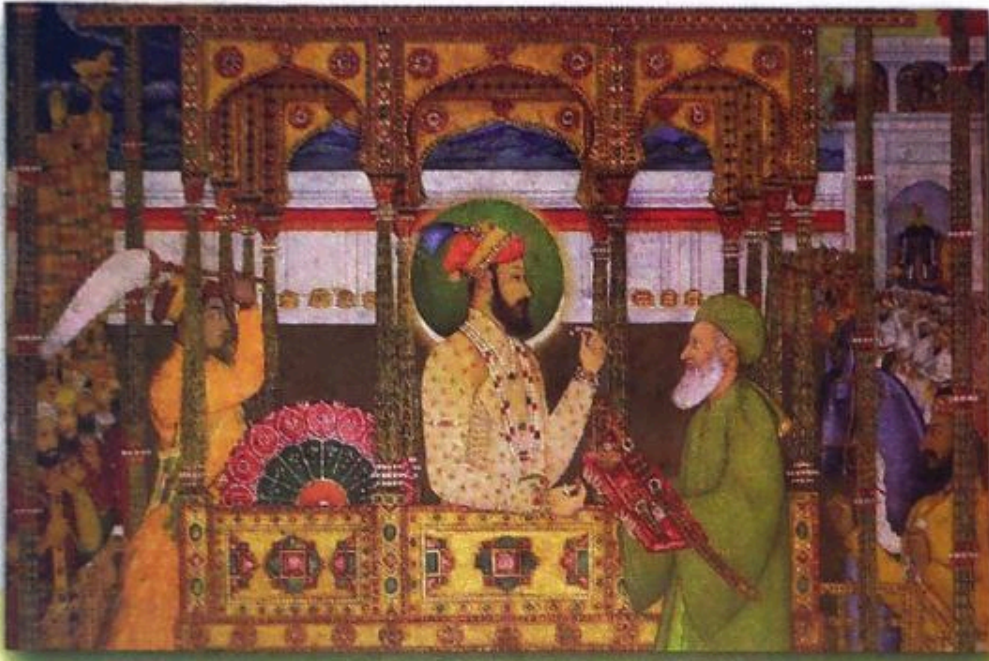


أحوال ملوك التتار المغول

رسالة في أحوال المغول منذ البداية حتى سقوط بغداد

أقدم نص عن المغول 658 هـ - 1260 م



تأليف: حسين بن علي البطيطي

تقديم وتصحيح:

د. رسول جعفریان

ترجمة الدراسة عن الفارسية:

د. نصير الكعبي

أحوال ملوك التتار المغول
المركز الأكاديمي للأبحاث

أحوال ملوك التتار المغول

رسالة في أحوال المغول منذ البداية حتى سقوط بغداد
أقدم نص عن المغول 658 هـ / 1260 م

تأليف

حسين بن علي البطيطي

من علماء استرآباد من القرن السابع الهجري

تقديم وتصحيح

د. رسول جعفریان

ترجمة الدراسة عن الفارسية

د. نصير الكعبي

أحوال ملوك التتار المغول

رسالة في أحوال الملوك منذ البداية حتى سقوط بغداد
The Conditions of The Tatars- Mongols kings

تأليف: حسين بن علي البطيطي

تقديم وتصحيح: د. رسول جعفریان

ترجمة الدراسة عن الفارسية: د. نصير الكعبي

التقويم اللغوي: محمد وليد فليون

تصميم الكتاب وغلافه: المركز الأكاديمي للأبحاث

الناشر: المركز الأكاديمي للأبحاث

العراق - تورنتو - كندا

بيروت الطبعة الأولى 2021

توزيع: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر:

بيروت - لبنان 7611-2047

الجناح - شارع زاهية سلمان - مبنى مجموعة
تحسين الخياط

Fax: +961-1-830609

Tel: +961-1-830608

Email: tradebooks@all-prints.com

Website: www.all-prints.com

كافة حقوق النشر والاقتباس محفوظة للمركز
الأكاديمي للأبحاث

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو
تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو
استنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن
خطي مسبق من الناشر

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة
عن آراء المركز الأكاديمي للأبحاث واتجاهاته

The Academic Center for
Research

TORONTO - CANADA

موثق بدار الكتب والوثائق الكندية

Library and Archives Canada

ISBN : 978-1-990131-21-9

© Website: www.acadcr.com

Email: info@acadcr.com

nasseralkab@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه

مقدمة

ربّما يسودُ تصوّرٌ مع وجودِ مصادرَ ذات قيمةٍ كبيرةٍ، مثل: «تاريخ جهانگشای» الجويني، والقسم المتخصص بالمغول من كتاب «جامع التّوراخ» لرشيد الدّين، ففي هذه المصادر كلّها تفاصيل دقيقة عن المغول، ولذلك قد يسود اعتقادٌ في البدء أنّنا لا نحتاج إلى مصادر أخرى؛ لكن يوجد مصادر فارسيّة تُعدُّ قيمتها عاليةً، مثل: كتاب طبقات ناصري، وآثار حافظ إبرو، وكذلك المصادر العربيّة والمصادر المكتوبة بلغاتٍ أخرى، فهي تضيء تاريخ المغول، وقد وردَ بحثٌ دقيقٌ عن مصادر دراسة المغول في كتاب «إشبولر» عن تاريخ المغول في إيران⁽¹⁾؛ إذ تُعدُّ مادته جديرةً بالقراءة، وقد حلل المصادر الفارسيّة والعربيّة والسّريانيّة والأرمنيّة والرّوسيّة والمغوليّة ونقدها، وعلى الرّغم من قصرِ تحليله، فإنّه كان دقيقاً ومفيداً.

وفي هذا الحقل نكتشفُ نصّاً جديداً عن المغول وحملتهم على إيران وبغداد، وقد كُتِبَ بلغةٍ عربيّةٍ، وفيه خصلتين أساسيتين، هما: أولاً يُلاحظ على المؤلّف في كتابه الرّوح والحسّ الإيراني القومي، وثانياً أنّه كُتِبَ بوساطة أحد علماء الشّيعة الإماميّة، وعن الحسّ الإيراني في المصادر الأخرى فإنّه يُمكن مشاهدته أيضاً، غير أنّ الميول الشّيعيّة

(1) تاريخ مغول في إيران، إشبولر، طهران، علم فرهنكي، ص 3-86.

تكتسب أهمية كبيرة عند النظر إلى حملة المغول من زاوية مغايرة، وفي هذا الباب فإنَّ مجمل المخالفين للشيعة أظهروا مطالباً في المصادر العربية وكذلك في المصادر الفارسية؛ بينما في هذا الكتاب هنالك مطالب تتعلق بالمغول وحماتهم منذ البداية، وحتى سقوط بغداد من وجهة نظر عالم شيعي إيراني وعربي.

وتأتي أهمية هذا المصدر من أنه كُتِبَ في سنة 658؛ أي بعد سنتين من سقوط بغداد سنة 656، ولذلك فإنَّ أهميته تأتي من قرب الزماني والمكاني من تلك الأحداث، ولا نعلم بدقة أيِّ فكرٍ تاريخي يحمل المؤلف في هذه الرسالة. وعن المآخذ عليه فإنه قد نقلَ إشارات ناقصة في مطلع الرسالة فيها مطلبٌ أو مطالب عن (قراقروم) عاصمة المغول في عصر «منكو خان»، ولم يُغطَّ بصورة كاملة منشأ المغول وأصلهم، وبداية قدرة «جنكيز خان».

وفي حال الحديث عن كتابة المؤلف التاريخية، فإنه من غير الممكن مقارنته بصورة كاملة بالكتابات التاريخية المستقرة، أمّا فيما يتعلق بأسلوبه الأدبي، فإنه من الممكن الحديث بصورة ثابتة عن فصاحته المطلقة في الأدب، وتسلطه الكبير على نصوص الأدب العربي القديم، ومع هذا فإنَّ في الكتاب مروراً عاماً على قصة المغول منذُ بداية سلطتهم وحتى سقوط بغداد.

لم يكن المؤلف مسلطاً على التاريخ، غير أنَّ له في هذا النص أهمية كبيرة بسبب قدمه وتفصيله التي نقلها من داخل الأحداث، وتزداد قيمة هذا الكتاب عندما نعرفُ أنَّ مروياته كانت متناقلة من لسانٍ إلى آخر بطريقة

شفويّة؛ ولذلك يُصنّف المصدرُ الحالي على أنّه من مصادرِ الدّرجة الأولى.

المؤلف ونسخة رسالته :

كُتِبَ في سنة 630هـ كاتبٌ من أهل الرّي في شيراز اسمه محمد بن حسين بن حسن الأبى الرّازي كتاباً سَمَاهُ «تبصرة العوام في مقالات الأنام» باللّغة الفارسيّة، وجاء في نهاية النسخة العربيّة لهذا النصّ:

(فرغ من تحريره هجرة يوم الجمعة عشرة شهر الله المبارك شعبان عظم الله ميامنه من شهور سنة ثلاثين وستمائة ببلد شيراز أضعف خلق الله وأحوجهم إلى غفرانه محمد بن الحسين بن الحسن الرّازي غفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات بمنة وجوده)⁽¹⁾.

طُبِعَ هذا النصّ باللّغة الفارسيّة في سنة 1313هـ، وحقّقه «عباس إقبال»، والكتاب فيه عددٌ كبيرٌ من النسخ الخطيّة (بلغت كتابة 60 نسخة)، وهذا يدلُّ على أنّ للكتاب المذكور أثرٌ مهمٌّ، وفائدةٌ كبيرةٌ في إيران.

ولدى محمد بن حسين الأبى الرّازي العالم أيضاً كتاب اسمه «بستان العوام ونزهة الكرام»، نشره «علي شيرواني» في مجلدين، وله أيضاً كتاب آخر، بعنوان «كفاية الأنام في الفقه الفارسي»، وقد حُقِّقَ وطُبِعَ على يد كاتب هذه السطور.

بعد تأليف «تبصرة العوام» في سنة 658هـ، ولاحقاً بعد قرابة 28

(1) اقتبس من النسخة الحصرية للترجمة العربية لتبصرة العوام.

سنة من تأليفه تُرجمَ إلى العربية على يد عالمٍ شيعي في «أستراباد»، عُرفت هذه الترجمة منذ عشرات السنين، وحُفظت في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي. رقم 2 ص 10 (سنا/ مجلس الشيوخ السابق).

واقبست من هذا الكتاب مقدمة «نزهة الكرام» وبعض المصادر الأخرى، ولا نمتلك معلومات مفصلة عن أحوال كاتب هذا الأثر، وهو حسن بن علي البطيبي؛ لكن يتضح من خلال رسالته الحالية عن المغول أن لديه علو كعب في اللغة العربية، وأنه قد نظم الشعر العربي الفصيح اللافت للانتباه، وذلك اعتماداً على ما أورده المرحوم «دانس بزوه» في مقدمة النهاية «تعليقات باسم البطيبي الحافظ»، وكانت تعليقاته على نسخة النهاية للشيخ الطوسي، الذي أتم كتابته في شهر محرم سنة 627هـ، والنسخة المذكورة يملكها شخص اسمه نور الدين إبراهيم ابن أفراسياب الطبري أفروز آبادي، وذلك في سنة 644هـ، وهذه الملكة كُتبت بخط البطيبي الحافظ.

في المصادر وُجد لقب «البطيبي» مرة واحدة متعلقاً بـ إبراهيم بن خالد الحفظ، والمعروف بالبطيبي، بناءً على قول الصّفي المثنوي قبل 250هـ⁽¹⁾، وبحسب ابن منظور: البطيبي يعني الأمر العجيب؛ «جاء بأمرٍ بطيبي أتى بعجيب»، وتأتي بمعنى نعل دون ساق، وهذا يبدو إشارة إلى إحدى أنواع المهن، وبطيبي قرية في مصر جاء اسمها في قوانين الدواوين (ابن عمات، القاهرة، 1411، ص 184، كذلك انظر تاج العروس: 14/161). ولُقّب كاتبنا باسم «أسترابادي»؛ لكن ما العلاقة الرابطة ما بين الاثنين؟ وهنا أمرٌ يحتاج إلى تأمل، ففي معجم قبائل العرب كحالة

(1) الوافي بالوفيات، ج 5، ص 345.

(32/4) جاء عن (البو بطيط) بعنوان قبيلة، وهي قبيلة قديمة أو جديدة، ولم يذكر تفصيلاً عنها.

وكما ذكر سابقاً فإن النسخة الموجودة لهذه الترجمة قد كتبت بيد شخص اسمه حسين بن محمد، قبل ظهر يوم الجمعة الخامس من جمادى الثانية سنة 898، في مدرسة الفقيه القاضي كامل الفقيه أحمد يوجاني، وجاء في ذيل هذه النسخة «قال الناقل المعرب: فها نحن نقطع الكلام بحمد الله تعالى وجميل لطفه وكرمه وجزيل منه ونعمه، فإنه الموفق لإتمام الأمور والموصل لأواخرها بالصّدور في أواسط رجب سنة ثمان وخمسين وستائة»، ثم جاء بعده «تم هذه الكتاب بعون الله تعالى ومنه، وصلى الله على خير خلقه محمد المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه قبلي [قبيل] وقت الظهر من يوم الجمعة في شهر الله المبارك في الخامس من جمادى الآخر في تاريخ سنة ثمان وتسعين وثمانائة من هجرة المصطفى خير البرية، على يدي العبد الفقير حسين بن محمد - غفر الله ذنوبها وستر عيوبها - في مدرسة الفقيه الفاضل الكامل الفقيه أحمد يوجاني⁽¹⁾ أطال الله تعالى [بقاءه] بحق محمد وآله أجمعين [أجمعين]».

حُفِظَت هذه النسخة في مكتبة سنا، وهي مكونة من (188) لوحاً، ويحتوي كل لوح على صفتين متقابلتين بالرقم (1377).

(1) «يو» لم ترد أية نقطة في هذه النسخة.

علاقة ترجمة تبصرة العوام بالرسالة الحالئية؛

إنَّ علاقةَ رسالةِ أحوال التتر بالنصِّ العربي للتبصرة ومترجم التبصرة؛ أي حسين بن علي البطيطي، فكتاب تبصرة العوام الذي يتكوّن من 26 باباً، وعند ترجمته إلى العربيّة شيئاً فشيئاً أُضيفت إليه مطالب صغيرة جداً.

أحدُ تلك المطالب المهمة والمثيرة للانتباه، الملحق في الباب 27، فالكتاب كان في أصله 26 باباً، والباب 27 بالدقة يمثل هنا عنوان أحوال ملوك التتار الذي نُقِّدَ للقراء الكرام، وفي الوقت الذي كنت مشغولاً فيه بتحقيق كتاب «كفاية الأنام» وكتابة مقدمته، كنت أبحثُ عن كتابات أخرى للرازي، وضمّنت في هذه المقدمة بعضاً منها، ففي هذه الدراسة، وبإشارة من الصديق السيد «بهراميان» فإنَّ إحدى الملاحظات هي أنَّ الترجمة العربيّة لتبصرة العوام تضمّنت باباً عن المغول من المترجم؛ أي البطيطي.

يذكر في عبارة تلفية في نهاية ترجمة «التبصرة» أنَّ شروع الكاتب في استمراره إلى المترجم؛ يعني البطيطي؛ شرحاً لهذه المسألة الإضافية عن طريق أحد الفصول، وهو عن المغول، بعنوان «كتاب تبصرة العوام»، وجاء فيه الآتي: «ثمَّ إنَّ الناقل لهذا الكتاب من العجمية إلى العربيّة، وهو المولى الأعظم قدوة المحققين أفضل المتأخرين الحسين⁽¹⁾ بن علي البطيطي الحافظ لما بلغ إلى ههنا من الكتاب مُعرباً له، في بلدته أستراباد - حماها الله من طوارق الحدثان، وإن كان لم يبق منها إذ ذاك إلا شفا جرف

(1) ذكر في آخر نصّ هذه الرسالة حسب قصيدة البطيطي حول سقوط بغداد.

هارٍ من كثرة فتن تأتيها، وعليها ينهار - في العاشر من رجب من سنة ثمان وخمسين وستمائة [قال:] أحب أن أختمه بشيء من تواريخ أحوال ملوك زمانه وما وجله من شرور الدهر بعيانه، من جملة من الكلام في تقرير ابتداء ظهور ملك التتار الأمغلة، الذين استولوا على ملك الدنيا واستعبدوا أهلها من أقصى بلاد الترك إلى الروم عرباً وعجماً ضرباً بالسيوف وحطماً للصفوف بعد الصفوف. فسبعتُ السادس من الباب السادس والعشرين فقلت: «...»، وعلى هذا المنوال يبدأ ترتيبُ الباب السابع والعشرين.

إنَّ هذه الرّواية من الكاتب «حسين بن علي البطيطي» التي كتبها في أستراباد على عجاله، والتي جعلته ينتسب ويُلقَّب «أسترابادي»، هي من أجل حفظِ ذكر أستراباد من نوائب الزّمان، وقد أشار إليها بـ (على شفا جرف...).

وهذا يُلمّح إلى أنّ وضع المدينة كان على حافة الهاوية، ويذكرُ «البطيطي» أنّ هذه المطالب قد سمعها من صديق أمينٍ وعزيزٍ عليه اسمه «أمين الدين محمد بن أميركان الأسترابادي»، وكذلك قد سمعَ أخباراً أخرى ونقلها من شخصٍ اسمه «محمد الخفاف»، وعلى ما يبدو كان في «قراقروم» عاصمة المغول.

لكن؛ يبقى السؤال الأكثر أهميةً ما مقدارُ المعلومات التي نقلها من الشخص المسمى «محمد الخفاف»؟، وما المعلومات المتعلقة بشخص «حسين بن علي البطيطي» نفسه؟، وهنا أمرٌ غيرٌ واضح؛ لكن من الممكن وضع احتمالٍ والقول إنّ بعض الأحداث في رسالة أحوال

التَّار والمتعلقة بأسرة «جنكيز خان»، والحوادث الأولى لتشكيل سلطنة المغول حتى خليفته قد نُقِلت من ذلك الشخص، أمّا بقية المطالب الأخرى المتعلقة بقلاع الإسماعيلية وفتح بغداد، فقد جاءت عن طريق «البطيبي» نفسه، وهذا مجرد احتمال.

ووردت العبارة الأولى في هذه الرسالة «اعلم أنه حكى لي الأمناء، وهو حبيبا الأعزّ أمين الدين محمد بن أميركان الأسترآبادي قال: حكى لي بقراقورم⁽¹⁾ محمد الخفاف عن بعض المغالين الذي كان شيخاً دهرياً من جملة من تقرب بآل جنكيز خان، وتعرّف من حالهم مشاهدةً وعياناً».

ومرة أخرى نقلَ مطلب عن الأمراء الإسماعيلية وقال: «وكان على ما سمعنا قد قتله أحد بنيه عمّا قريب...»، ويبدو أنّ جملة «البطيبي» هذه تُظهر أنّ أخباره قد جمعها من مصادر معتمدة.

أمّا عنوان أحوال ملوك التتر، فيُظهر أنّ شخصاً ما قد كتبه، ففي المتن أضيفت عبارة الأمغلة (وتعني المغول)؛ لكننا وضعنا في مكان عبارة الأمغلة (المغول)، ونعلم أنّ مصطلح تتر له معنى دقيق، ويشتمل على مجموعة قبائل.

التي إلى جانب كثير من القبائل المغولية والجلاليرية الأخرى...، والتي منها تعبيرُ التَّار⁽²⁾، وهو معنى عام وشامل لأقسام مهمة من

(1) في الأصل بقراقورم، مدينة قراقورم مدينة كبيرة بناها أوكتاي في سلطته وأصبحت عاصمة المغول.

(2) حول مفهوم ودلالات التَّار بهذا المعنى الخاص انظر: جامع التواريخ (تاريخ المغول، ج1، ص57-71).

القبائل المغولية الأخرى في المناطق الأخرى، وفي الرسالة الحالية نستفيد من مجموعة من العناوين ونستعملها، منها: التتر، والمغول، والمغال، وأمغل، وحتى (الترك) نستعملها للجيش المغولية.

عن تصحيح هذه النسخة :

كما أشرنا سابقاً فإن هذه النسخة تمثل القسم الأخير من الترجمة العربية لكتاب «تبصرة العوام»، وقد تضمّنت تاريخ ترجمة هذا الكتاب وتأليفه من قبل المترجم في ملحق، وذكر ذلك سنة 658، وتاريخ كتابته كانت سنة 899، ولهذا فإن هذه النسخة كُتبت على نسخة أخرى، ولا نعرف النسخة الأصلية إلى أين قد ذهبت؛ لكن إجمالاً عند دراسة هذه النسخة يظهر لنا أن كتابتها ضعيفة، وفيها بعض النواقص، وبعض الكلمات جاءت مبتورة، مما أجبرنا على تصحيح النص، ففي بعض المواضع حُذفت كلمات وصُحّفت أخرى ووردت أغلاط كثيرة؛ لذا صححناها في الحاشية، وفي بعض الأحيان احتملنا بعض الكلمات وأثبتناها في المتن بصورتها الصحيحة، وثبتنا في الحاشية شكلها الخاطيء، وحذفنا بعض الكلمات الخاطئة وثبتنا الصحيحة في المتن، وأرجو ألا يشعر القارئ بالقلق من هذه التغييرات والمشكلات التي وردت في المتن، لأننا سنرفق مع المتن المصحح الحالي نسخة مصورة من المخطوط، ليتمكن أي شخص من مطالعتها، ويلاحظ أصل المتن مقارنةً بالمصحح.

استخدم المؤلف مكان عبارة (المغول) أحياناً كلمة (المغال) وجمعها (أمغل)، واستخدم أيضاً مرادفات أخرى لهذه الكلمة؛ أي: (المغال، والمغول)، لذلك غيّرنا هذا التعبير إلى تعبير المغول، وفي بعض الأحيان

احتفظنا بكلمة الأمغل.

وغيرنا أيضاً بعض الشيء في ضبط بعض أسماء الأفراد، ودونا ذلك في الحاشية، وصححنا بعضها الآخر، علماً أنه كان من الصعب في النسخة أحياناً التمييز والوضوح تلك العبارات الموجودة أصلاً في المتن.

ولم نتوقف كثيراً على موارد الأعراب الموجودة في النسخة الخطية، التي فيها بعض المشكلات أحياناً، ويستطيع الباحث أن يراجع النسخة الأصلية المرفقة من أجل معاينة تلك الأخطاء، وتتكوّن المخطوطة من ص 1 حتى ص 24، وأثبتنا ذلك في أصل المتن المصحح، فأشرنا إلى رقم صفحة المخطوط.

وأرفقنا في نهاية المخطوطة 25 صورة أو لوحة من نسخة «جامع التواريخ» المحفوظة في المكتبة الوطنية الفرنسية برقم (1113 Supplement Persan)، كما أوردنا بعض اللوحات البانورامية من جنكيز خان حتى هولوكو، وسقوط بغداد.

وقد دونا في المقدمة الفارسية بعض الحواشي على المتن العربي، وشرحنا لغوياً بعض العبارات، وفي الحقيقة فإن هذا الأمر مفيد جداً للباحثين في مجال الدراسات العربية والفارسية، وأيضاً للمهتمين بدراسة العراق وإيران في الوقت نفسه، فلذلك يُلاحظ أحياناً استعمال الفارسي مكان العربي في أصل المتن والدراسة.

وقد استفدنا في تصحيح العمل من ملاحظات الأصدقاء، منهم: الصديق العزيز جناب السيد الأستاذ حسين توفيق، والأستاذ الكريم

السيد محمد رضا الحسيني الجلاي زيد عزه.

ومن المؤكد أنه دون مساعدة هؤلاء لم يكن ليكتب لهذا العمل أن يرى النور، وفي هذه المناسبة يجب الاعتراف بأن أي خطأ أو خلل فهو من خطأ المحقق نفسه، ويجب الإشارة أيضاً إلى السيدة مريم صديقي التي أسهمت في تنضيد هذا العمل وتصميمه، فلها جزيل الشكر.

ومن الأشياء التي يجب الإشارة إليها أن هذه الدراسة للمخطوط كُتبت باللغة الفارسية، وقد ركزت فيها على المقارنة بين محتواها ومحتوى المصادر الأخرى التي أشارت إلى المغول، أمّا قضية ترجمة النص الكامل إلى الفارسية فأعتقد أن هذا العمل يحتاج إلى مترجم متمكن من اللغة والأدب الفارسي والعربي، من أجل ترجمته.

وربما يمكن في المستقبل إعادة ترجمة هذا العمل، وفي النهاية لا بدّ من الإشارة إلى أن هذه الدراسة لم تركز بصورة كاملة على العبارات أو الأفكار الموجودة في المتن كلّها، وإننا تركت كثيراً؛ ولا سيما المعروف منها.

طهران 10-9-1394

19-2-1437

مقارنة بين محتوى الرسالة والمصادر الأخرى

مجيء المغول:

إنَّ ظهورَ المغولِ وتغلُّبهم على الدَّويلاتِ الشرقيَّةِ والغربيَّةِ فيه كثيرٌ من القصص والروايات المتشابهة في التاريخ؛ لكنَّ اللافت للانتباه أنَّ هذه القبائل المتفرقة والتي تغيَّر وتغزو، تتحد مرةً واحدةً، وتُشكِّل جيشاً كبيراً تحت لواءِ قائدٍ قوي، وتُسقط القبائل والدُّول التي في محيطها جميعها⁽¹⁾، وقد سيطروا على القسمِ الكبيرِ من آسيا، التي تُعدُّ أكبرَ قارةٍ مسكونةٍ «مما كان عليه خصه مع من القوة والعدة وما تهيأ لأعدائه من الكثرة والشوكة حتى كان كل واحد منهم فغفور وقته وكسرى زمانه، فقد خرج إليهم بنفس واحدة، مع قلة عدد ويد خالية من العدد، فانظر كيف أذل جبابرة الآفاق في المشرق والمغرب وقهرهم، وأما من كان يصدى لقتاله ونزاله، فإنه وفقاً لحكم الياسا الذي لا إبرام فيه، يقوم بالقضاء عليه وعلى أتباعه وأشياعه وأولاده وجنده كلية ويدمر بلاده ونواحيه»⁽²⁾.

والجزءُ المهمُّ من سيطرتهم على القسمِ الغربي فقد أسقطوا الخوارزميين، وتغلَّبوا على الدَّويلاتِ المحليَّةِ حتى أقصى نقطةٍ في السَّهْلِ

(1) بعدُ وصف الجويني أفضل التوصيفات انظر: تاريخ جهانكشاي، ج 1، ص 15.

(2) تاريخ جهانكشاي، ج 1، ص 17.

والجنوب، ثمَّ تسلَّطوا على العراق، وتوجهوا نحو الشام، وأصبحت هذه الجهات جميعها مغوليَّة.

وعلى آية حال فإنَّ جميع هذه المناطق المتمدنة من العالم القديم والقوية أصبحت لها وجهة مغوليَّة، فجميعها سقطت أمام المغول.

ولاسم المغول عند الناطقين بالفارسيَّة، والعربيَّة، والأرمن، والكرج والروم، وكثير من الثقافات المحليَّة أهميَّة كبرى، وكانت النظرة إجمالاً مختلفةً في لحاظ كلِّ مؤرخ، فمنذ سنوات حوادث المغول إلى استقرارهم، وتشكيل الدَّولة الإلخانيَّة وبقاياها حتى منتصف القرن الثامن، نجد نظرات إيجابيَّة وأخرى مخالفة، وهذا متعلِّق بقدر كلِّ منطقة والضَّرر الذي لحقَّ بها، فبعض المناطق تعرَّضت لهجوم عنيفٍ وأزيلت، كذلك التَّأثير المتبادل الذي أحدثه المغول أو الذي أحدثه سكان تلك المناطق.

وإجمالاً فإنَّه يجب الفصل بين المسلمين في الشَّرق والمناطق الأخرى التي يوجد فيها العرب والمسلمون في مصر والشَّام والعراق، عن مناطق الصَّين وبلاد المغول حتى نواحي غرب إيران، وهناك نظرتان مختلفتان في المغول.

وعموماً فإنَّ المناطق التي واجهت المغول بالمقاومة لم تفلح، فعلى الرِّغم من المواجهة التي حاولها كلُّ من الأمراء الخوارزميين والأمراء المحليين قبالة جيوش المغول، فإنَّهم لم يحققوا نجاحاً، وتعرَّض هؤلاء إلى خطرٍ كبيرٍ على مستوى الهويَّة ودينهم، وإنَّ بعض الملكيات في هذه المناطق كانت تتعرض إلى مخاطر وجوديَّة، وهذه المقاومة لم تصل إلى نتيجة، وعندما لم يجد كثيرٌ من النَّاس فائدةً من تلك المقاومة اتبعوا المغول.

وهناك قسمٌ آخرٌ من النَّاسِ بادَرَ إلى إطاعة المغول والإفادة من أسلوبهم، فالمغول سعوا إلى منح النَّاسَ بعض الحريات والاحترام بما يتعلق بالدين والعادات والتقاليد، ويبدو أنَّ «الجويني» كان واعياً بتلك التصرفات من المغول وكان على قربٍ منهم، فيذكر: «فقد نظروا إلى المسلمين بعين الاحترام وأعزوا الوثنيين وعبدوا الأصنام وتركوا حرية الأولاد والأحفاد باختيار المذهب المناسب لهم، فبعضهم تقلدَ الإسلام، وبعضهم اعتنق المسيحية، وطائفة أخرى بقيت على عبادة الأصنام، ومجماً لم يميلوا إلى أيِّ طرف من تلك الأطراف»⁽¹⁾.

وكان «الجويني» على هذا النوع من الفكر، فقد أسس - بحسب رؤيته - عالماً جديداً فيه المقاومة اللا نافعة، وحثَّ السَّير على هذه الخطى الجديدة، فهو لم يكن من أهل المقاومة، وقد طرح ذلك في بعض نصوصه: «والآن في عهد منكو قا آن خصوصاً، حيث شرف كثير من الأمراء من أولاد وأحفاد جنكيز خان وأرومته بشرف الإسلام، وجمعوا بين عز الدين وسعادة الدنيا، وقد تزين كثير من أتباعهم ورسلمهم وخدمهم بحلية عز الدين، وهم كثرة لا يمكن عددهم أو إحصاؤهم. ومما سبق وفقاً لما يمليه العقل تتضح ضرورة التمسك بالحكم الرباني (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا)⁽²⁾ والإذعان لهم والانقياد لحكمهم وترك العناد والعصيان»⁽³⁾.

وأعتقد أنَّ المسلمين حسبوا أنَّ هذا الشيء من القضاء والقدر، فقد

(1) تاريخ جهانكشاي، ج 1، ص 18.

(2) الأنفال: 21.

(3) المصدر نفسه، ج 1، ص 11.

جاءت دولة عظيمة وسيطرت على هذه النواحي كلها، وبحسب قول «رشيد الدين» الذي يؤيد هذا الأمر: (إنها كانت مؤيدة بأنواع التأييدات السماوية)، (وفي أزل الأزال الله أراد أن يكون ملك العالم)⁽¹⁾، وبذلك وعوضاً عن المقاومة فإنه من الأفضل التسليم بالقضاء الإلهي، وقد صوّرت تلك الأوضاع على أساس أنها نوعٌ من النبوءات للرسول⁽²⁾، وقد صوّرَ أنَّ هذا نتيجةٌ لظلمِ الأمراء والملوك المسلمين وجورهم في تلك النواحي⁽³⁾.

بعدها تدريجياً دخل المغول الإسلام، ويُلاحظ أنَّ «جنكيز خان» وبعده «أوروغ» وأولاده قد سَعوا إلى إظهارِ انتمايتهم، وفي بعض الأحيان منازعاتهم حول هذا الأمر، ويُشير رشيد الدين إلى هذا بوضوح عندما يذكرُ أنَّ «كوجلِك» قد حطَّم بيت الأصنام لأنه تعرَّض إلى الدين المحمَّدي⁽⁴⁾.

(1) جامع التواريخ، (تاريخ المغول، ج1، ص219).

(2) منهاج السراج، الذي كان يحمل على المغول، والذي كان يعيش في الهند رأى أن من مكان حملة المغول فيه كان الأمان، وأن المكان الذي سيطر عليه المغول في بلاد ما وراء النهر الذي كان يطلق عليه دار الإسلام تبدل بدار الكفر، وذكر أحاديث عن ظهور المغول، انظر، طبقات ناصري، ج2، ص190، وهو عند تناوله في بداية الحديث عن المغول أشار إلى هذا الأمر (ج2، ص91) قبل الحديث عن أصل هؤلاء ووقت خروجهم، وأورد فصل فيه أحاديث عن خروج هذه الطائفة الموعودة.

(3) فقد نقل رشيد الدين في سير الحوادث حول فتح بخارى على يد جنكيز خان القول الآتي: «هؤلاء أي قوم نعرفهم فهم ضالين ضلالة كبرى، وضمايرهم وقد أضلوا قبلهم»، جامع التواريخ، تاريخ المغول، ج2، ص361.

(4) جامع التواريخ، تاريخ المغول، ج1، ص338.

ونضج هذا الأمر بوضوح وخصوصاً في زمان «منكو اغا خان» وأولاده، فأظهروا تعاملهم ورسومهم مع الأديان والملل المختلفة، ويلاحظ وجود نوع من التوظيف السياسي في التعامل الديني مع الأديان والأقوام المتنوعة، وهذا المطلب يتضح بصورة كبيرة في مقدمة كتاب «الجويني» عن تاريخ المغول؛ إذ لا توجد صعوبة في ملاحظته.

رواية رسالة أحوال تاريخ المغول:

لدينا نصان فارسيان كتبنا عن المغول، ويعودان إلى العشرة الأولى من ظهور المغول الأول كتاب «طبقات ناصري»، والثاني «تاريخ جهانگشاي» للجويني.

وهناك كتاب آخر مهم يمتاز بسبكه التاريخي القوي ورؤيته المتفاوتة مع الآخرين، وهذا الأثر هو «جامع التواريخ» لرشيد الدين فضل الله، وتعد هذه المصادر الثلاثة المكتوبة باللغة الفارسية عن تاريخ المغول، وبعدها ظهرت أيضاً مصادر أخرى في هذا الباب.

وهنا نسعى إلى مقارنة كل روايات هذه المطالب مع رواية كتاب «أحوال ملوك التتار»؛ لبيان أهمية هذه الرسالة من مجموع هذه المصادر الأساسية.

جنكيز خان وبداية حوادثه:

ظهرت في «رسالة الأحوال» رواية عن الأيام الأولى لظهور «جنكيز خان»، وأخذت الطابع القصصي، فظهر «جنكيز خان» على هيئة حداد،

وعلى الرغم من شجاعته؛ لكنّه لم ينل الرئاسة، غير أنّ قومه وقبيلته، وفي زمن الأزمات الكبيرة التي يواجهونها، والضنك، وزيادة الاضطرابات المحليّة، نظروا إليه بمنظار القائد، ولذلك توجهت قبيلته إلى انتخابه رئيساً لها.

لم يقبل «جنكيز خان» بذلك في البدء؛ لكنّه لمّا لاحظ إصرار قبيلته على ذلك الأمر تقبّله، وبهذا فإنّ «جنكيز خان» من ناحية الأصل والنسب ورئاسة القوم لم يكن لديه شيء، وهذا ما ورد في رواية «الأحوال».

أمّا الرواية التي جاءت عند «الجويني»، وهو المؤرخ الرسمي للمغول، فنجد تفاوتاً كبيراً ما بينها وبين رواية «رسالة الأحوال»، فهنا اسم «جنكيز خان» جاء «تومانجين»، وهو من قبيلة (قيات)، (وأجداد جنكيز خان هم كانوا رؤساء القبيلة ويتنسبون إليها⁽¹⁾)، أمّا رشيد الدين فقد كتب رواية مطولة عن طوائف المغول، وشرح قبيلة «جنكيز خان»، وعدد أجداده واحداً تلو الآخر، وفي ذلك يقول:

«وكان اسمه تموجين (بن يوسكاي بهادر) وكان عمره ثلاثة عشر سنة، وقد فقدَ أبيه، ولذلك تبناه أقاربه، وعندما قهر «خان» ملك كرايت أطلقوا عليه «جنكيزي»؛ ويعني الملك المعظم، وبعد ذلك عندما قتل «تاينك خان» ملك النيمانين، فأطلقوا عليه في هذا الوقت لقب جنكيز⁽²⁾، وفي أخبار «جنكيز خان» نجد أحداثاً كثيرة، منها جزئية ومفيدة في هذا المصدر.

(1) تاريخ جهانكشاي، ج 1، ص 26.

(2) جامع التواريخ، تاريخ المغول، ج 1، ص 221.

وتوضّح رسالة الأحوال حول «جنكيز» أنه حالما تسلّم الرئاسة كان الفسادُ شائعاً، والسَّرقة زائدة والغارة في قبيلته، فسعى إلى تأسيس أو إصدار قانونٍ لنظم ونظام القبيلة سَمَّاه (ياسا) فتقبله الجميع، وورد ما يناظر هذا التّوصيف في تحليل تاريخ «جهانگشاي» (فأصبحت القبائل لوناً واحداً، وسادَ بينها العدل، ورفعت عنها المستنكرات من عادات السَّرقة والزّنا)⁽¹⁾.

وفي هذا يعدُّ منهاج «السّراج» أكثر المصادر عدائيّةً ضدَّ المغول، فذكرَ خصائصَ مهمة عن «جنكيز خان»، وكان جنكيز خان عادلاً، ولم يظهر في جيشه ما يخالف ذلك، ولم يعتدّ على أحدِ الملاك، ولم يوجد من هو سارقٌ أو كاذبٌ في جيشه، وقد رفع كل العورات عن عجلٍ من خراسان، فلم يشع الكذب ما بين الناس، وهذا واضحٌ وجليٌّ في عصره⁽²⁾.

الحرب مع النّيمانيّين:

النّيمانيّون أحد الطوائف التي استوطنت الصّحراء الواقعة على حاشية الأراضي المغوليّة، وكانت أوّل المعارك التي خاضها معهم «جنكيز خان»، والتي تتصل بأراضي المغول، ثمّ جاء بعد ذلك وادي (قراقروم) على يد «أوكتاي»، وكان يقع هؤلاء ما بين الاثنيين⁽³⁾.

(1) تاريخ جهانگشاي، ج 1، ص 28.

(2) طبقات ناصري، ج 2، ص 144-145.

(3) حول هؤلاء انظر: جامع التواريخ، تاريخ المغول، ج 1، ص 95-99.

إنَّ أحداث الحرب بين «جنكيز خان» و«النيبانيين» كانت تُمثل الهند الثاني من «رسالة الأحوال»، وجاءت بصيغة قصصية، فكان هؤلاء أي النيبانيين يعيشون في عصر واحد، وتحت سلطة «كوجلك خان» (أو كوشولوك: بمعنى الملك العظيم)، وهو ابن تايئك خان، وذكره «الجويني» خطأ بأنه خليفة «أونك خان»، وقبل ذلك قد تحارب معه «جنكيز خان»، أمَّا رواية رشيد الدين الدقيقه فقد صححت ذلك⁽¹⁾، فقد أورد رشيد الدين تفاصيل حرب «جنكيز خان» مع النيبانيين وخسارتهم أمامه، وذكر أنه بعد هزيمتهم أصبح هنالك مجلس عظيم للمغول (يصل حدوده حتى نهر أومنك)، ولذلك أعطي «جنكيز خان» لقبه⁽²⁾، وبإمكاننا أن نعطي مثالا واحداً على العناوين التي أطلقها «جنكيز خان» عن إطلاق هذا اللقب عليه؛ إذ يُمكن مراجعة المصدر نفسه⁽³⁾.

وكانت من نتائج الحرب مع النيبانيين سيطرة المغول على أراضي واسعة واقعة في الغرب، ومتصلة بأراضي الخوارزمشاهيين، وكانت هذه المعارك تدور قرابة سنة 604هـ فقد اتَّحد «محمد خوارزمشاه» مع «كورخان قراتي» واتفقوا على تقسيم الأرض التي بينهما.

وكانت هذه الأراضي هي الحدّ الفاصل بين المغول والخوارزميين، وكما نعرف فإنَّ الخوارزميين مع «كوجلك خان القراخانيين» كانوا يمثلون فاصلاً مهماً إزاء هجوم المغول، وحينما كان «جنكيز خان»

(1) جامع التواريخ، تاريخ المغول، ج 1، ص 96.

(2) المصدر نفسه، ج 1، ص 97.

(3) المصدر نفسه، ص 268.

يتحرك باتجاه الغرب حول أراضي السلطان، كان قد استطاع أن يهزم «كوجلك خان»، ويسيطر على أراضي الخوارزميين.

وبهذا فإن المقصود من هذا المتن الذي يحمل صورة قصصية متعلقة بحرب «جنكيز خان» مع النيبانيين، ويجب القول إن رواية كاتب «الأحوال» كانت بصورة عامة محدودة وقصيرة، وأظهرت الجوانب الحربية ما بين تلك القبائل؛ لكن مع هذا يجب عدم نكران أن جزئيات مهمة في «رسالة الأحوال» قد جاءت ببعض النكات المهمة، التي تروي تفاصيل جوهرية عن حروب «جنكيز خان» الأولى مع النيبانيين، وكيف أنه في حملات متعددة قد أوقفهم.

تناول الكاتب هذه الموضوعات بقلم أدبي جميل، وقد أشار إلى بعض الجوانب الأمنية في تلك الجبال إبان تلك المعارك، ويمكن جمع هذه التفصيلات كلياً في قوله: «حتى إذا استناموهم ذات يوم هجموا عليهم وقتلوا كثيراً منهم وانهمز الباقون فاستحوذوا على وفورهم وأموالهم وخيلهم وإبلهم وغنمهم، وصاروا مثرين أغنياء».

وبالإجمال فإن رشيد الدين قد أفرد تفاصيلاً عن الفتوحات الأولى لـ «جنكيز خان» عندما ذكره مُتراًساً للمجلس الكبير، فيذكر على وجه الخصوص معاركه مع النيبانيين عندما عزم أخذ «بيرق خان» أخو «تاينك خان» الذي كان مجهولاً في الحرب مع «قوشلاميشي»؛ لكنه فجأة انكسر وخسر تلك المعارك⁽¹⁾.

(1) جامع التواريخ، تاريخ المغول، ج 1، ص 97.

وبصراحةٍ فإنَّ قصةَ جلوس «جنكيز خان» بعد ظفـره بالنـيـانـيـن تشبه في تفاصيل كثيرة أخبارَ رشيد الدين، فقد نَصَبَ المجلسُ العظيم «جنكيز خان» على عرشِ المملكة، وذلك بعد انتصاره على كلِّ مخالفيه، وحدثَ ذلك في سنة (1) 602.

جنكيز خان في الصين:

أوردَ هنا راوينا حكايةَ «جنكيز خان» مع ملوك الخطا أو الصين الذين كان عليهم ألتون خان⁽²⁾، في هذه المعركة وبعد انكسار قوات الصين⁽³⁾، حاصر «جنكيز خان» «ألتون خان»؛ لكن لم يجد طريقه إلى داخل المدينة، وبحسب رواية «الأحوال» فإنَّ شخصاً اسمه جعفر، أطلقَ عليه مؤلف الكتاب، وبحسب تعبيره (الشيعي العربي)، كان من أهل البلد، وقد تواصل مع جيش «جنكيز» عند محاصرتهم خان أو بكين من أجل إرشادهم إلى داخل المدينة.

وقد نُقلت هذه الحكاية بتفاوتٍ بوساطة كتاب «منهاج السراج»، الذي كتب: «حينما كانت أعدادهم كبيرة، وأصبحوا أكثر وقد وصل إلى سمع ألتون خان تلك العزيمة، فهياً ثلاثة آلاف فارس حتى يقطع

(1) جامع التواريخ، تاريخ المغول، ص 292، 307.

(2) جاء في توضيح رشيد الدين حول إطلاق منطقة الخطاي على الصين الآتي: (ولاية الخطاي هي الصين وولاية ماجين وهي مهاجين) يعني تسمى الصين الكبيرة، ولأن ولايتنا (إيران) قريبة من الهند وتوارد التجار إليها أكثر، فقد أطلق على هذه الممالك أيضاً بـ (ولايات أهل الهند) والتي يقال لها (جين) وماجين؛ لكن في الأصل اللغوي مهاجين، جامع التواريخ، تاريخ المغول، ص 321.

(3) انظر جامع التواريخ، تاريخ المغول، ص 323 وما بعده.

الطريق على تلك الفئة فأرسل جنكيز خان شخص مسلم من بينهم باسم جعفر إلى ألتون خان يطلب برسالة الصلح أو الحرب، فسجن الرسول وتم بقاءه مدة في السجن؛ لكن هذا السجين استطاع بطريقة أو أخرى أن يفرّ ووصل إلى جنكيز خان عن طريق مخفي وتكلم له عن حالة الأوضاع هناك وأخبره عن الطريق الذي سلكه⁽¹⁾.

استمرت حروب «جنكيز خان» لثلاث أو أربع سنوات في الخطأ، ومن غير الممكن الحديث عن تلك الحروب بهذه البساطة، فقد أشار «رشيد الدين الجويني» في حديثه إلى أنها كانت سنة 611م، وأن «جنكيز خان» قد تفهقر من المعركة، وعاد أدراجه⁽²⁾.

جنكيز خان والخوارزميون:

أشرنا في حروب «جنكيز خان» مع النيبانيين إلى أنه عند مقتل «نيامك خان» التجأ ابنه «كوجلن خان» إلى كورخان القرختاي، وفي هذا الوقت كان القراخيون يسيطرون على معظم ما وراء النهر؛ ولذلك شكّلوا سداً منيعاً أمام المغول في محاولتهم التوجه إلى خراسان، وكان الخوارزميون يدفعون المناطق الغربية إلى القراخانيين وعندما اعتلى السلطنة «محمد خوارزمشاه» تحوّلت علاقة الصداقة معهم إلى علاقة عداوة، وفي هذا الوقت ارتبط «كوجلن خان» بالخوارزميين، وبذلك واجه كورخان التمرّد من الشرق إلى الغرب، وأخذت دولة القراخانيين بالاضمحلال⁽³⁾.

(1) طبقات ناصري، ص 33.

(2) جامع التواريخ، (تاريخ المغول) ص 331.

(3) المصدر نفسه، ص 335-336.

وعندما اضمحل القراخانيون أصبح «جنكيز خان» مجاوراً إلى الخوارزميين، وكان بين الاثنين علاقات تجارية وسياسية، ودون سيطرة مباشرة من قبل أحدهم على الآخر، غير أن كل دولة كانت من الدول الفتية، ولها رغبة في التوسع، وكان هذا سبب للمنافسة، وكان كل واحد منهم يبحث عن مقومات ذلك النزاع الذي ابتداء، وقد ورد:

أن قصة قتل التجار المغول في مدينة أترار كانت من أهم الأسباب لحملة «جنكيز خان»⁽¹⁾، ومن هذا الباب فإن الخوارزميين لم يكونوا على إطلاع بإمكانيات المغول وطبيعتهم في المناطق الواسعة من الشرق حتى الصين، وفي هذه المرة كان «منهاج السراج» في الهند، وقد جاء بأخبار المغول في زمان «جنكيز خان» من مصادر مختلفة، وقد كتب: «وفي سنة 1617 عندما عبر جيش المغول نهر جيحون لأول مرة متوجهاً إلى خراسان» سمع هذا الكاتب «منهاج السراج» في قلعة تولك من عماد الملك تاج الدين دبیرجان، وكان واحداً من الأركان الخوارزمشاهية، أن خيال الاستيلاء على ممالك الصين قد سيطر على رأس السلطان محمد خوارزمشاه عليه الرحمة فكان يتطلع دائماً إلى معرفة أحوال تلك البلاد، وكان يسأل القادمين من ممالك الصين وتركستان عنها، وكنا نحن عبيده نحاول ملتجئين أن نثنيه عن هذا العزم، إلا أنه لم يكن يمحو هذه الفكرة من ذهنه بأي وجه⁽²⁾.

وبعد هذه البداية عن حملة المغول على الصين، وبيان أسر التون خان وابنه ووزيره، فقد قال «جنكيز» إلى ممثلي محمد خوارزمشاه (وكانت

(1) جامع التواريخ، تاريخ المغول، ج1، ص341-342.

(2) طبقات ناصري، ج2، ص102.

قد سطعت شمس مملكتي وغربت شمسك⁽¹⁾، ثمَّ تحدّث عن قتلِ
تجار المغول في أترار على يد «خوارزمشاهيين»، ثمَّ تكلم عن الحملات
اللاحقة لجنكيز خان على بلاد ما وراء النهر.

إنَّ أوَّل حوادث الحرب بين الشاهيين والمغول كانت بوساطة جنود
«جنكيز خان»، الذين حضروا إلى حدود تركستان للقضاء على (قوم
قدوا)، غير أنَّ الخوارزمشاهيين قبيل وصولهم أشاعوا خبراً بأنهم قد
سلكوا طريقَ العراق سمرقند، وقالوا: (إنَّا عسكر «جنكيز خان» لم
نحصل على الموافقة من «جنكيز خان» على حرب الخوارزميين، وإنَّما
جئنا في مهمةٍ أخرى)؛ لكنَّ إصرار الخوارزمشاهيين قادهم إلى معركةٍ
شديدة الوطيس، قُبِضَ فيها على السلطان محمد؛ لكن ابنه جلال الدين
حرره، ثمَّ توقفت الحرب⁽²⁾، وقد استمرت حملات «جنكيز خان» لاحقاً
على نواحي متعددة، على الرّغم من تأكيد رشيد الدين أنَّ «جنكيز خان»
لم يكن مصرّاً على الحرب (وقد سلك كل مسالك الصداقة والحفاظ على
حقوق الجيرة، فقد صدرت من السلطان بعض التصرفات المسببة للنفرة
والكدره لكن لم يظهر منه انتقام وتحرك)⁽³⁾، وكان حينها جيش المغول
في أواخر سنة 616، وبعد ثلاثة أشهر وصل مدينة أترار، الموضع الذي
تأججت فيه الفتنة⁽⁴⁾. وقد تحدّث راوي «رسالة الأحوال» عن حركة
«جنكيز خان» وسيطرته على قسمٍ من بلاد القبجاق، وحينما وصل هذا

(1) المصدر نفسه، ج 3، ص 103.

(2) جامع التواريخ، تاريخ المغول، ج 1، ص 345.

(3) المصدر نفسه، ج 1، ص 346.

(4) طبقات ناصري، ج 2، ص 105: انظر جامع التواريخ، تاريخ المغول، ج 1،
ص 353. حكاية جنكيز خان ووصوله إلى مدينة أترار وسيطرة المغول عليها.

الخبر إلى سلطان خوارزم حدثت مناوذة بينهم، وفي الوهلة الأولى خسر المغول، ولم تصل أيديهم الطامعة إلى بلاد إيران، وذُكر في هذا صلح السلطان وتسامحه مع المغول، وأثنى على ذلك، وقال إن السلطان مقارنة بهم أدنى تسامحاً، وهذا عين الصواب (حتى آل الأمر إلى السلطان محمد، وكان ذو شوكة مجدة، وشديد الغيظ والغيرة، حتى سمعت كثيراً من الكبار أنه كان يلوم أحياناً أباه السلطان على مسامحة التتار ومداراتهم، ويستحثة على تضيق الأمر عليهم، والحجة بهم في إداراتهم، فلما آل الأمر إليه هياً له جنداً جراراً يسير على التتار، ومن شدة المكافحة ثاراً قامت الحرب بينهم، ومن وجهة النظر سلطان محمد قد زاد في الأمر).

وفي هذا الباب نقل لحكاية قصيرة عن أحد أقارب «جنكيز» أورنياً أحد أبنائه، الذي ذهب للصيد وقد وصل نقطة، حيث موضع إقامة سلطان خوارزمشاهي وصار قريباً منه، طلب منه العبور، فرفض السلطان، وكان ذلك الرجل جريئاً ومقتدراً، ولذلك نشبت معركة بينهم، وتقهر جيش السلطان، وانكسروا وشن التتار حملة، وكانت هذه الحملات سبب دخولهم إلى بلاد الإسلام (وفتحوا بلدان الملة الإسلامية، وأخرجوا اللطان من تلك المناطق وأصبح جنود الكفر يحكمونها، ولم يبق أي أثر للسلطان بعد ذلك).

إن الإشكالية في هذا الخبر أن السلطان «محمد خوارزمشاه» لم يصل إلى الحكم قبل سنة 596، ولم يكن هنالك أخبار عن دخول «جنكيز» تركستان، ولم يكن السلطان قد اصطدم بالمغول، وقد حدث التصادم الأول بين الخوارزم والمغول في سنة 617، وجاء بعد ابنه جلال الدين، ويبدو أن مؤلف «الأحوال» أراد المقارنة بين السلطان محمد وابنه جلال

الدين شاه؛ لكنَّ المسألة الأهم أنَّهم لم يكونوا أهلاً للتسامح مع المغول؛ لهذا كانت الأوضاع في زمن جلال الدين أكثر احتداماً واحتراباً.

ونقل «الجويني» حكايةً عن المواجهة بين المغول والخوارزمشاهيين، وذكرها كالأتي: حينما كانت قوات جنكيز خان بقيادة توشي تشنُّ هجوماً ضد كوملك خان، وقد ضمَّ نواحي كاجغر وختن.

ولهذا السبب استولى «جنكيز خان» السلطان فاتح العالم على هذه النواحي ابتداءً من كاشغر، وختم إلى الموضع الذي كان السلطان «خوارزمشاه» يحكم فيه، وسُلِّمَ إليه.

ولما كان «قد توغان» قد هرب في أثناء استيلاء «كوجلجك خان» على أرضه ومملكته، وذهب إلى حدود «قم كيجك» فقد أرسل «جنكيز خان» إليه ابنه «توشي» مع جيش كبير للقضاء عليه، كي يُخلِّص الناس من شره، ولا يُبقي له على أثر، وفي أثناء عودته مضى السلطان في أثرهم، ورغم أنَّهم لم يكونوا راغبين في القتال ومُعرضين عنه، فإنَّ السلطان لم يعرض عنهم؛ بل أقبل عليهم، وولى وجهه شطر صحراء التعسف والهواية فاز، فلما لم تنفعه النَّصائح فقد استعدوا للقتال، وجهزوا أنفسهم لها، وحلوا عليه من ناحيتين، وحمل ميمنة كلَّ من الجيشين على ما يقابلها، وازداد جيش المغول شجاعةً وإقداماً على ما أحرزوه من نصر، وحلوا على مركز الجيش السلطاني حيث كان السلطان يحتل مكان قيادته.

وقد أشارت «رسالة الأحوال» إلى أنه في هذا الصراع وردَّ أحد أبناء «جنكيز خان» مع سلطان خوارزم، وذهب إلى الصيد على مقربة من جيش السلطان، ولما يكن ذلك دقيقاً.

لكن؛ لم تظهر «رسالة الأحوال» وحوادثها، ولا سبب الحملات الواسعة للمغول في العقد الأول من القرن السابع بقيادة «جنكيز خان» وأبنائه من ضمن حملاته على هرات ونيشابور، ونواحي مازندران.

ولأخذ العلم فإن هذه الحملات، وباختصار شديد، كانت قد وَجَّهت ضربات موجعة إلى جسد خراسان، واستحكمت فيها مواضع المغول، وكتب منهاج السراج: (وحيثما علم جنكيز خان بخبر ذهاب خوارزمشاه من أطراف بلخ وتفرق الجمع والجيش الذي كان معه، أرسل 60 ألف فارس من معسكر المغول بقيادة قائدين كبيرين من المغول الكبار إلى خراسان، الأول سوده بهادر والثاني يمنون في أثر السلطان محمد خوارزمشاه فعبروا نهر جيحون).

وكان عبور هذا الجيش نهر جيحون في شهر ربيع الأول في سنة 617، وبناءً على أمر «جنكيز خان» لم يلحقوا أذى بأية مدينة من مدن خراسان، ولم يستولوا على أيّ منها، إلا ما حدث في ولاية هرات في مكان يسمى «بوشنج»، حيث قُتِلَ هناك واحد من أكابر الجيش المغولي في إحدى المعارك، واستولوا على قلعتها عنوةً، وكانت صغيرة، وقتلوا كل من وُجِدَ بها من المسلمين، ثمَّ قصدوا من هناك إلى نيسابور، وبلغوا أبوابها.

وحيثما اندلَع القتالُ هناك، قُتِلَ صهر «جنكيز خان»، فلم يشغلوا أنفسهم بالانتقام؛ بل مضوا إلى طبرستان ومازندران في أثر السلطان محمد خوارزمشاه، الذي قاد عسكرَ وادي تيمشه على طريق مازندران، حيث لحق به جيشُ المغول فجأةً⁽¹⁾.

(1) طبقات ناصري، ص 108.

وقد شَرَحَ وضعه بالتفصيل، فكتب أيضاً (وفي هذه السنة، سنة 617م أخذ جيش المغول يهاجم الأطراف لمدة ثمانية أشهر، وفي هذا التاريخ كان كاتب هذه الطبقات منهاج السراج في قلعة تولك، وكان أخوه في قلعة مدينة فيروز كوه، وفي ذلك العام جاء جيش المغول إلى قلعة استياهور وحاربوا بضرارة لمدة خمسة عشر يوماً)⁽¹⁾.

خلفاء جنكيز خان:

الرّواية الثانية هي عن أبناء «جنكيز خان» ومسألة ولاية العهد، وعلى العكس فإنّ المؤلف لم يورد شيئاً حول حروب المغول وأخبار خراسان الكبرى، وخراب المدن ومقاومة الناس وقتلهم، فقد ركّز المؤلف على أسرة «جنكيز خان» وأخبار خلفاءه.

وذكر «البطيبي» مؤلف كتاب «الأحوال» أربعة أبناء لجنكيز الأول قآن، ويقصد بذلك أوكتاي خليفة جنكيز خان، والثاني تولي خان، والثالث جفكاي، والرابع ابن جنكيز خان توشي أو جوجي، الذي ابنه تاباتو وجوجي، وقد توفي مع أبيه جنكيز في سنة 624⁽²⁾، وباتو خان وابنه قد أخذ مكان أبيه⁽³⁾، واتجه هذا الشخص بمعية كيوك خان (ابن أوكتاي) وأمنغون (ابن جغتاي) في سنة 642 لفتح مناطق الروس

(1) المصدر نفسه، ص 113، وأحوال الأخبار المتعلقة انظر ص 134-135.

(2) كان موت جنكيز خان في رمضان 624 وكان عمره حينها 72 سنة حول هذه الأحداث انظر جوامع التواريخ (تاريخ المغول)، ج 1، ص 386-387.

(3) تاريخ جهانكشاي، ج 2، ص 221.

والجركس والبلغار⁽¹⁾.

وتنصب أوكتاي قآن بواسطة أولتاي الكبيرة (المجلس) في سنة 626 وأصبح خليفة جنكيز⁽²⁾، واستمرت سلطته حتى سنة 639⁽³⁾.

وذكر في هذا الباب مؤلف «الأحوال» شرحاً حول مزايا البذل والعطاء ومساغيه من أجل إعمار المدن المدمرة، ولم يذكر أية إشارة حول حملاته على إيران وحواليها مع القائد جرماغول، وكانت وظيفته في هذه المرحلة إظهار معلومات عن الجهاز المغولي الإداري.

لم تتوقف حملات المغول بهذا الاتجاه، وإنما استمرت باتجاه الصين عن طريق أوكتاي، وابنه جفتاي وتولي⁽⁴⁾.

وذكرت «رسالة الأحوال» خلفاء أوكتاي قآن، والتي لها ذكر في مصادر ذلك العصر، وقد كتب إقبال اعتماداً على تلك المصادر «كان الخليفة سليم النفس وهادئ، وانشغل في عمارة البلاد، وإشاعة العدل والإحسان، والشجاعة وأصلح خرائب أيام أبيه» وقد أشار إلى ذلك «الجويني»⁽⁵⁾، وقد أثنى على آخرين، وحدثنا على وجه الخصوص عن التأثير والعلاقة ما بين محمود يلواج وابنه مسعود بيك بقال⁽⁶⁾، «وقد

(1) تاريخ مغول، إقبال، ص 147.

(2) انظر تاريخ جهانكشاي، ج 1، ص 146-147.

(3) انظر تاريخ مغول، إقبال، ص 135 وما بعدها.

(4) تاريخ مغول، عباس إقبال، ص 146.

(5) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج 1، ص 195-161.

(6) عباس إقبال، ص 148.

عُرِفَ أوكتاي قآن في مشرق الأرض بكرمه وشجاعته، ولُقِّبَ بحاتم آخر الزمان⁽¹⁾، واللافت للنظر أن منهاج السراج الذي عُرِفَ بأنه ضد المغول أثنى كثيراً على أوكتاي وإسلامه، فقال: (وكان أوكتاي في حد ذاته كريماً إلى أقصى حد وطيب الخلق، وكان يحب المسلمين للغاية، ويجتهد جداً في تعظيم أهل الإسلام، ورفاهيتهم، فكان المسلمون الذين يوجدون في بلاده مرفهي الحال وذوي حرمة في عهده، وقد بنيت المساجد في أثناء حكمه في كل بلاد تلتك والطمغاج والتبت وبلاد الصين، وأوكل جميع قلاع بلاد الشرق وحصونها إلى جماعة أمراء الإسلام، وأسكن الأمراء الذين كانوا قد أسروا من إيران وتوران في مدن التركستان وبلاد طمغاج وتنكت، كما أمر أوكتاي بأن ينادي المسلمين بكلمة صاحب وأخ، وأمر المغول بأن يزوجوا بناتهم للمسلمين، وإذا رغب شخص في خطبة أولادهم لا يمانعون. وقد أقام صلاة الجمعة في كل بلاد الشرق وسكن المسلمون في تلك البلاد)⁽²⁾.

وهذا ليس توضيحاً طويلاً، وإنما المؤلف انهمك في بحث ولاية عهد أوكتاي قآن وقد توفي، وعلى الرغم من خلو تخته؛ لكن شاع الاستقرار وبقيت الأوضاع آمنة، وعزا البطيبي هذا الاستقرار إلى وجود باتو خان ابن جوجي، الذي كان قائد العسكر في منطقة صحراء قبجاق.

ونعلم أن ابن أوكتاي قد بدأ بالظهور في حياته وقبل مماته؛ إذ كان له طفل اسمه شيرمون نصَّبه ولي عهد، ثم توفي، ولم تكن الأوضاع في

(1) تاريخ جهانكشاي، ج 1، ص 191، حاتم الزمان، وحاتم العالم، انظر تاريخ مغول، إقبال، ص 149.

(2) طبقات ناصري، ج 2، ص 151.

هذا الوقت مستقرة، غيرَ أنَّ مؤلف «الأحوال» عزا عامل الاستقرار إلى وجود باتو خان وكذلك جهود أخيه خان، وأيضاً جفتاي ذكره «الجويني» بين أبناء توشي اسمه بركة، ويجب أن يكون بركة خان⁽¹⁾.

يذكرُ البطيطي مؤلف «رسالة الأحوال» أنَّ باتو خان وعلى الرَّغم من أنَّه كان كافر؛ لكنه كان عادل، ولم يوعز بإزالة مباني الإسلام؛ بل شجّع تربية علماء الإسلام، أمروا بتربيتهم، وتقويتهم، وتوفير الوظائف والمرسومات لهم، فضلاً عن ذلك، أمر أن يكون القضاء بيد القضاة الشرعيين، وقد احترَم الأعراف ولم يلحق الأذى، وكتب الجويني: (كان «باتو» ملماً ولم يميل إلى أي دين أو قومية وكان عارفاً بالإلهيات ولكنه لم يتعصب إلى أي من الملل والأديان)⁽²⁾، وقد أورد رشيد الدين العبارت نفسها⁽³⁾.

وكان من منظور «منهاج السراج» سلبى للغاية إلى كيوك خان، وقد وجه التَّقدُّم مراراً إلى تعامله مع المسلمين، فيما ذكر باتو خان بالذِّكر الحَسَن، وقد كتب: «وروى بعض الثقات أن باتو خان اعتنق الإسلام خفية، لكن لم يعلم ذلك واعتقد بأهل الإسلام، وبلغ ذلك طوال مدة حكمه البالغة 18 سنة»⁽⁴⁾.

لم يملك مؤلفُ الأحوالِ معلومات عن ولي العهد كوجو وموته،

(1) تاريخ جهانكشاي، ج 1، ص 144.

(2) المصدر نفسه، ج 1، ص 222.

(3) جامع التواريخ، تاريخ المغول، ج 2، ص 570-571.

(4) طبقات ناصري، ج 2، ص 171.

وعن تعيين شيرمون، وأشار فقط إلى أن كيوك خان حلّ مكانه أوكتاي، وكان عمره صغير جداً، ولتأ مات كيوك خان، لم يأخذ أحد مكانه، فبذلك توفي جوغتاي وأبناءه، ولم يصلوا إلى الملك.

ومرّ البطيطي مروراً سريعاً على كيوك خان، وكان خاني محل أوكتاي.

ولم يصل الدّور إلى شيرمون بسبب صغر عمر هذا الخان، أمّا معلوماتنا بعد موت أوكتاي فقد ظهر اختلافٌ شديدٌ، ففي هذه المرة أمسكت توراكيينا خاتون زوجة أوكتاي بزمام المملكة حتى انعقد مجلس القوريلتاي الكبير، وكان هناك أتباع مومريدي دوينخان، ورغبتهم في وصوله إلى الخان⁽¹⁾. وشكّل مجلس قوريلتاي في سنة 644، ولم يكن حينها باتو خان؛ ولكنه أرسل ممثلاً عنه، واستمرت سلطة كيوك خان حتى سنة 648، ثمّ توفي، وفي هذه المرة لم يخلف ذاكرةً حسنةً في أذهان المسلمين لأنّه هو وأمه كانوا من المسيحيين، واضطهدوا المسلمين، فكتب الجويني: «وعلا شأن النصرانية في عهده، ولم يساعد المسلمين، وتعالى عليهم»⁽²⁾.

وبحث مؤلف رواية «الأحوال» في تعيين خليفة ديوك خان، وكان البحث يتركز على خان العظيم من نسل أوكتاي أو خارج من نسله، وفي ظلّ هذه الأوضاع وصل منكو ابن توري إلى السلطنة، ومؤلفنا فصّل في هذا، وحينها حدث نقاش بين مدعي خاني (السلطنة) بعد باتو خان، ولم يكن باتو خان مدعي خاني (السلطنة)؛ ولكنه كان في ذلك

(1) انظر تاريخ جهانكشاي، ج 1، 165-196

(2) المصدر نفسه، ص 204.

الوقت الأكثر ثراءً، ويعدُّ جيشه من أشدِّ الجيوش قوةً عند المغول، وأيدُّ الجويني هذا المطلب وذكرَ أنَّ باتو خان كان الأكبر سنّاً من بين الأبناء، وعُرفَ بالإصلاح ومواجهة فساد المملكة، وعندما يُقارن بالآخرين فهو الأفضل، ولهذه الأسباب فإنَّ أحد غيره لا يصلح لأنَّ يحمل مكانه⁽¹⁾.

ينقل كاتبُ الأحوال أنَّ (من أبناء تولي خان) منكو هولاكو أو هو قوبلاي يوجي، وقد ذكروا في المصادر أربعة أبناء له، وقد وُلِّي الأبناء الثلاثة الأوائل فضلاً عن أريق⁽²⁾، وكما نعرف فإنَّ منكو قاآن أصبح خليفة ديوك خان، وقد تجاوز تشكيل مجلس القوريلتاي الكبير، وكذلك تأثير باتو خان، وظهرَ تدافعٌ بين المتنافسين، فبحسب المصادر الأخرى إنَّ زوجة ديوك خان المسماة «اغفول غاينش» أرادت انتخاب ابن أخ ديوك خان؛ أي شيرمون، بوصفه خليفة أوكتاي، غير أنَّ كيوك وبمساندة أمه قد وصلَ إلى السلطنة (الخاني)، وجبرت المنافسة بين أبناء وأحفاد الأخوين (أوكتاي وتولي باتو خان) على التَّحرك بسرعة بوصفه ابنها الأكبر، وطلبت من الجميع المجيء إليها، وتعيّن القورولتاي الكبير (المجلس أن يعيّن السلطان) غير أنَّ المعارضين لم يذهبوا إليها، وقالوا إنَّ الأساس لقدرة «جنكيز خان» ليست صحراء جاق؛ ولكن أونان وبلواران، وبهذا زهد جمع منهم⁽³⁾، وبحسب رواية «الأحوال» فإنَّ نخبة من المغول التحقوا مع باتو خان من أجل انتخاب أحدهم⁽⁴⁾، وفي هذا

(1) تاريخ جهانكشاي، ج3، ص18.

(2) تاريخ المغول، عباس إقبال، ص155.

(3) حول ذلك انظر جامع التواريخ، تاريخ مغول، ج2، ص581-585.

(4) انظر تاريخ مغول، إقبال، ص155.

وردت كلمة غير قابلة للقراءة.

وهذه العبارة هي (مع فرييان؟)، وفيها صور وأشكال وتخطيطات لمن هم على استعداد للجلوس على السرير والصلح القائية وضبط الملك، ويقوا بعض الوقت قرب باتو خان من أجل معاينة صلاحه، ومنها أختير منكو قآن، وتحفظ على قبول قآن إلى أن يعمل طبقاً لتقاليد المغول، وكتب مؤلف الأحوال وأوضح ذلك بقوله: «وكانت صفة ذلك يضع إحدى ركبتيه إلى القدم منبسطة على الأرض دافعاً أخرى، واضعاً يديه معاً على ركبته المرفوعة، وقال له: بوركت في صيرورتك مالك السرير وسائس الأمور للجمهور»، تحفظ منكو قآن حتى يقبله باتو، رغم أنه يعمل بالمصلحة.

بحسب تقرير المصادر بعد انتخاب منكو، لأن القرولتاي الكبير لم يتشكل واستغرقت المفاوضات وقتاً طويلاً بين المخالفين والموافقين، حتى استطاع اتباع منكو في سنة 648 بالقرب من قراقروم اختيار منكو خان إلى الأقان⁽¹⁾.

أشار مؤلف «الأحوال» إلى محور المنازعات بين زوجة ديوك خان وابن أخيه من جهة، وابن توري من جهة أخرى، وقد أشار المؤلف وكتب: (فتنكروا وتغيروا وأخذوا يعدون مكائدهم لدفعه)، وذكر بعضاً من زوجات «جنكيز خان» وأبنائهم ودورهم في هذه المسائل، وركز على مساعدة منكو، وكانوا راضين بسلطة منكو «صاحب السرير وحامي الحوزة وراعي المملكة».

(1) جامع التواريخ، تاريخ المغول، ج2، ص585.

وفي هذا الوقت فإنَّ هذه المعارضة قد اضمحلت، ومؤلفُ «الأحوال» في هذا الباب يعطينا بعضَ المعلومات التي جاءت في مصادر أخرى أيضاً⁽¹⁾.

وجاءت هذه المعلومات التي ذكرها مؤلفُ «الأحوال» في مصادر أخرى⁽²⁾.

يقول مؤلفنا: إنَّ سيرموان هو شيرمون، وإنَّ أخوانه كلٌّ من أغل وناغا، وإنَّهم من أحفاد قآن؛ وذلك يعني أنَّ أوكتاي جزء من المتمردين، وكان شاباً يافعاً وكان يمتلك جيشاً جراراً، وامتلك صفة منكو، وقال: (ما هو والملك من أين يستحقه؟)، وأرسل له خان المغول، وبتوجيه من أحدِ أقربائه، جيشاً صغيراً من مئة نفر، وكان هذا الشخص يعرف تلك المنطقة جيداً، وعندما كان شيرمون ذاهباً للصيد، وابتعد عنه أسروه، وجلبَ إلى منكو خان، وتدريبياً أُلقي القبض على باقي أفراد جيشه، وتعرضوا للمسائلة والمحاکمة، «حتى أقام يراغو المأخوذين، واليرغو هو القضاء والحكومة عندهم»⁽³⁾.

وقد أوردَ مؤلفُ «الأحوال» استجوابهم وإجابة شيرمون، الذي قال: (أنا كنت قد سلمت؛ لكن العسكر منعوني)، ثمَّ استجوب أخوه خوواجه أغل، وذكرَ له تلك النصيحة؛ لكن في هذه المرة ذكرَ بعض التفاصيل المهمة والتي ربَّما تكون غير متوافرة في المصادر الأخرى، منها: أنَّ أحد

(1) انظر تاريخ مغول، إقبال، ص 157.

(2) انظر تاريخ مغول، إقبال، ص 157.

(3) تاريخ جهانكشاي، ج 3، ص 52.

المتحردين كان خاتون، وأحبا الثمرد، وحينها وصل هذا الأمر إلى منكو خان قال طلب العفو من خاتونه، وعلى أية حال فإن الأشخاص الذين أثاروا الفتنة قُتلوا، ولم يبق منهم غير شيرمون، وأخوه خواجه أهل.

وكانت هذه العبارة، هي: «وأمر بقتل من كان مادة للفتنة، ومهيجاً للشرور وذوي الغيث الفتانين حتى أكثر من قتلهم ولم يبق إلا قليلاً من نسلهم إلى أن حمله الفكرة في العواقب والنظر في مصائر الأمور على قتل شيرمون وأخيه خواجه أهل، فاستقر إليه الملك...».

هل تشير هذه العبارة التي وردت إلى قتل شيرمون وأخيه أهل؟ يبدو أن ذلك جاء فعلاً، فقد وردت العبارة الآتية على عدم قتل شيرمون وأخيه خواجه أهل، يعني أنهم لم يقتلوا.

حملة هولاكو على إيران وفتح قلاع الإسماعيلية:

ذكر مؤرخ كتاب «الأحوال» بعد شرح وصول منكو خان إلى السلطة، وهذه عادة المؤلف مع كل حاكم مغولي يصل إلى المملكة فيذكر حملاته العسكرية إلى المناطق المختلفة وأمراءه، وكان أحد المقربين إلى الخاقاني، قال: إلى منكو تستطيع بمئة نفر أن تبعد شر شيرمون، قال قآن ما الرأي: الأفضل أن تعزم على إرسال إخوانك بحملات عسكرية إلى بلدان مختلفة؛ فتصبح مرتاح البال.

وبذلك تهتم بأمورك، فقبل منكو خان بذلك، وأرسل أخيه قوبلاي إلى جهة المشرق؛ أي الصين، وبعث هولاكو إلى الغرب يعني إيران

والعراق، وكانت حركة هولاکو في 24 شعبان سنة 651⁽¹⁾.

وفي هذه المرة كان لحملة المغول هدفين: الأول إزالة قدرة الإسماعيلية، والثاني حملة على بغداد، وفي كلا الأمرين كان للمغول حملات متعددة؛ لكنهم لم يتمكنوا من فتح قلاع الملاحدة، وبذلك بقيت يدهم بعيدة عن بغداد، وفي المقابل استطاعوا السيطرة على آلاف المدن والمناطق، التي دمروها.

ذكر مؤلف «الأحوال» مباشرة بعد الحديث عن مجيء منكو خان، الحملة على الملاحدة، وتقريباً هذا الشيء نفسه الذي عمله «منهاج السراج» بعد وصفه أحد السنة المتعصبين، وقد استحسن الحملة على الملاحدة، وقد نُقلت تلك الأحداث بالآتي: (إن سبب ارسال الجيوش على بلاد وقلاع الملاحدة أن الحسن الصباح لعنه الله قد أسس هناك قواعد على مذهب الملاحدة وقد وضع قانون الضلال وحكم من قلعة الموت...) (2).

وذكر البطيبي إشارة إلى حركة الجيش إلى المغرب؛ أي جهة إيران، وذكر توجه أخيه (كت يوقا) وبأنه كان صاحب عقل، وهو الذي كان قائداً مقدمة جيش «هولاکو» المتجه إلى قلاع الإسماعيلية.

وقد كتب رشيد الدين «أصبحت كت يوقا منشغلاً بفتح قلاع

(1) تاريخ جهانكشاي، ج3، ص96.

(2) طبقات ناصري، ج2، 2181.

الملاحدة وقد أصبح بمقدمة هولاءكو خان» (1).

كتب مؤلفُ الأحوال: «أمره بلزوم قلاع الإسماعيلية وافتتاحها وقلع أرومتها واستئصالها حتى إذا وصل إلى مواضع قلاعهم استحشد واستجاش عن البلاد حتى جمع أجناداً كثيرة وأمر حول كل قلعة بحصارٍ وخندق وبنى البيوت متصلة بالحصار، ووكد عليها من الجند بقدر ما يحتاج إليه ذلك المكان للاستدفاء وكذا صنع هذا الصنيع بجميع قلاعهم من أقصى خراسان إلى آخر مازندران، وجعجع بتلك الملاحدة الغادرين حتى افتتح جميع القلاع والصياصي إلى جردوكة، وألتون، والقائن، وألموت، لكن لم يخلها عن المحاصرة والمحاربة والضرب بالمناجيق والرمي بالنيران وغير ذلك»، وكتب منهاج السراج عن مقاومة القلاع متعجباً، فذكر أن في بلاد ملحدستان (150) قلعةً، سبعون منها في قلعة بلاد أستان، و35 حوالي جبال العراق، التي يُقال لها ألموت.

إنَّ الملاحظة الواضحة أن أهل السنة كان لهم أحقادهم على الإسماعيليين، وقد أوضح «منهاج السراج» بصراحة ذلك عندما ذهب إلى الغزوات مرات عديدة مع المغول، وهاجوا ضدَّ الإسماعيلية من أجل دفع شرهم، ولهذا كتب: (كان القاضي شمس الدين القزويني إمام صديق وعلم تحقيق وسافر أكثر من مرة من قزوین إلى الخطأ وتحمل أعباء مفارقة الأوطان، حتى ذهب يوماً في مملكة منكو خان بالقرب منهم وطلب منهم يد العون وأن يرفع شر الملاحدة والفساد من بلاد الإسلام)، فحرَّك باتجاههم حملةً، وهذا من الأسباب التي حرَّكت منكو

(1) جامع التواريخ، تاريخ المغول، ج2، ص198.

خان لقمع القلاع في بلاد ملحدستان ومهستان والموت⁽¹⁾، وقد أشار رشيد الدين إشارة إجمالية إلى ذلك. الذي أراد من منكو خان بعدما وصل قربه إسناده وطلب العون، وهم أيضاً كانوا من جماعة السنة الذين يطمحون إلى إزاحة الإسماعيليين من إيران.

وقع مُسبقاً هذا، حتى قال عن الخليفة العباسي ما يماثل ذلك، من أجل دفع خطر الخوارزمشاهيين بوساطة المغول، وفي هذا الموضوع فإن «منهاج السراج» كان يلعن المغول، وفي النهاية كان يطلب بقاء دولة الإسلام، وكتب في هذا: «يستمد ملك سلطان الإسلام من ملك الله تعالى وهو باقي حتى انقرض حياة الأدميين وإن كان الخان الأعظم»⁽²⁾.

ويظهر بجلاء أن المؤلف الشيعي لم يكن راضياً عن الملاحظة، وضمن هذا السياق الإنساني العام فإنه لم يُظهر غضبه، فقد أشار إلى هذه المسألة في الأحداث بين الإمامية والإسماعيلية، أو بعد ذكر بداية حملة كوت بوقاء مع مرنكو؛ إذ لم تذكر المصادر ذلك، فورد الحديث عن هولاکو يقول إنه قد اصطحب جيشاً جراراً لا يُحصى، وأرسله إلى المغرب فورد إلى خراسان، واجتاز توك وقآن بعدما فتحها، ثم لم يستطع جبل كرد، فاستمرت المحاصرة، ومن هنا ذهب إلى الموت، وهذا تقريباً هو الشرح المتعلق بسقوط القلاع التي ذكرها «الجويني»⁽³⁾.

ونحن نعلم أن «الجويني» كتب رسالة مستقلة سماها (فتح نامه)

(1) المصدر نفسه، ج2، ص-182.

(2) طبقات ناصري، ج2، ص189.

(3) تاريخ جهانكشاي، ج3، ص108-109 وما بعدها.

عن فتح ألموت، وقد وضعها «تاريخ جهانگشاي» في كتابه⁽¹⁾، وفي أواخر ذي القعدة من السنة المذكورة ظهرت البدعة وطفعت، وحمل الشيطان كل السكان والأقمشة والأمتعة إلى الصحراء، وبعد ثلاثة أيام بلياليها ذهبوا، وقد عجزوا عن حملها؛ لذا أشعلوا النيران في المحلات والدور⁽²⁾، وقد أورد رشيد الدين تفاصيلاً أكثر حول ذهاب وإياب ممثلي المغول وخورشاه، وكذلك إرسال شيرانشاه وأخيه بيرانشاه أخوه الآخر، والذين ذهبوا إلى هولاءكو⁽³⁾، وكتب مؤلف الأحوال حول قلعة ألموت والأمراء الإسماعيليين: «ذاك أحد الإسماعيلية التيا محمد بن الحسن الذي كان يسمونه القائم بأمر الله، وكان على ما سمعنا قد قتله أحد بنيه عما قريب، وجلس مكانه ابنه خورشاه».

أطلق المؤلف في كتابنا لقب القائم بأمر الله علاء الدين محمد، وهو تعبير ورد أيضاً في كتاب رويان؛ لكنه لم يلاحظ في مصادر أخرى، كتب أولياء الله: (كان عقد هولاءكو خان منكو قآن عبر المياه وسار إلى الطريق إلى قلعة التون وقائن التي فتحها وأسر الكثير من الملاحدة ووصل إلى جبل كرد وهياً جيشاً للحصار ونزل بنفسه إلى قلعة موت وكان في ذلك الوقت كيا محمد ابن الحسن الذي كان يسمى القائم بأمر الله) وقد قتل بمعيته أحد أبناءه⁽⁴⁾.

وأثار مقتل علاء الدين محمد بن حسن والد ركن الدين خورشاه

(1) تاريخ جهانگشاي، ج3، ص144.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص136.

(3) جامع التواريخ، إسماعيليون، ص184-185.

(4) تاريخ رويان، ص160.

جدلاً، فكان الأمر مبهماً، وأورد الجويني تفصيلاً حول ذلك⁽¹⁾، فذكر: قتل علاء الدين في مطلع شوال سنة 653 في موضع يسمى شيروكوه⁽²⁾.

وصحيح أن بعد سنة التحق خورشاه بهولاكو، وفي واقع الحال حكم بسنة واحدة⁽³⁾.

كان وزيره نصير الدين الطوسي، وهو (نحرُ الدهور ونادرةُ العصور)، الذي كان محبوباً لسنواتٍ في الموت، وكان يؤمن بفشل عملهم، حتى قيل إن قلبه كان مائلاً إلى إفساد أمرهم، ونكث شرورهم.

ونعلم أن خواجه كان في قهستان، ثم انتقل أخيراً إلى الموت، وقيل إنه كان في حبسهم، وفي هذا كثير من الأشياء، وقد أشارت إلى ذلك رسالة الأحوال بصورة مختصرة، وذكرت قلب الخواجه الذي كان يميل إلى خراب أمر الإسماعيليين، فقال: «وكان وزيره نصير الدين الطوسي تحرير الدهور ونادرة العصور وتشاور خورشاه ونصير الدين وكان خورشاه شاباً لم يضرس الأمور ولم يعلم المحن والشور وكان نصير الدين شيخاً أكل الدهور، وكان محبوباً من جهتهم منذ سنين في الموت، حتى قيل أن قلبه كان ميلاً إلى إفساد أمرهم ونكث شرورهم، فلما رأى هولاء قد احتفى بها، قال لخورشاه بوساطة علم النجوم في الظاهر أن صلاحك وصلاح أهلك وبلادك النزول عن هذه القلاع والهبوط عن هذه التلاع، فأنا لا أيدا لنا مع هؤلاء الامتناع والدفاع. فقاوما يوماً

(1) تاريخ جهانكشاي، ج3، ص254-259.

(2) المقدمة، ج3، ص255.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص267.

واحداً زحفت الجيش إلى القلعة، ثم أرسلوا إلى هولاکو غداً بالنزول على حكمه والامتثال لأوامره فنزلوا، وما عقده الأباء الحكماء في سنين قد حلوا، وعن مركب الملك والعزة قد ارتحلوا، وإن كانوا ظانين أن بعد عزل العهد والحلف مع هؤلاء الأنغلة قد قتلوا.

وكتب رشيد الدين (خرج خواجه نصير الدين الطوسي نور الله قبره مع جمع من الوزراء والأعيان الكفاة ومعهم التحف والطرائف الكثيرة في يوم 27 شوال، وتحدث خواجه نصير الدين مع خورشاه في أول ذي القعدة من سنة 654 فنزلوا من القلعة)⁽¹⁾، وقد أورد كل من رشيد الدين والجويني قصة تسليم خورشاه، وإقامته بالقرب من هولاکو، وعشقه لإحدى بنات الأتراك⁽²⁾، وهذا يظهر كيف أنه طلب من منكو خان أن يذهب بالقرب من هولاکو، وقبوله الذهاب إلى قلقروم، وفي الطريق قتل كل مقربيه⁽³⁾.

ولهذا فإن الدولة الإسماعيلية التي عاشت 177 سنة انتهت، وفي زمن قتل خورشاه فإنه في طريق الذهاب لم يقتل؛ بل وصل قراقروم، غير أن منكو قآن قابله وحماه، وأن عدم ارتياحه كان بسبب عدم فتح قلعة لنسر وكرد كوه حتى ذلك الوقت. وفي طريق عودته (في المحلة المجاورة إلى جبال خانقاي الواقعة شمال غربي مغولستان تم قتل ثمانية أمراء عن طريق ذبحهم على يد أصحاب الموت)⁽⁴⁾.

(1) جامع التواريخ، ج 2، ص 665-679.

(2) جامع التواريخ، ص 189.

(3) تاريخ جهانكشاي، ج 3، ص 74-77، جامع التواريخ، ص 190.

(4) تاريخ عقائد الإسماعيلية، فرا دفري، ص 488.

وذكر مؤلف الأحوال مطالب أخرى، وفي حديث عن الجويني فقد كتب: أن هولاءكو اعتمد على علم النجوم، وأراد من خورشاه أن يخرج من القلعة ويسلمها، غير أنهم قاوموا يوماً واحداً وفي النهاية سلموا، ثم أرسل خورشاه مع الحرم وأهله، وأيضاً الغنائم، إلى منكو خان الذي أصدر أمر قتلته، وذكر أيضاً أن هولاءكو أمر أحد جنوده الشباب أن يقارب ابنة كيا محمد والنساء والجواري، وكان أحد أبناءه يشاهد ذلك ويلاحظه، وكان يعيد ذلك أكثر من مرة: (أمر بلكره في قفائه ليتوجه إلى صوب تلك القلعة وأن يشاهدها وينظر إليها، ونعوذ بالله من سوء العاقبة وخذلان الخاتمة).

وأشار مؤلف كتاب «الأحوال» إلى أن هولاءكو منح خواجه نصير كثيراً من العناية، وذلك لعلمه الجم، وخصوصاً في الحكمة، والنجوم، والرياضيات والعلوم الأخرى، ثم قدّم وصفاً عن هولاءكو بأنه غاضب وسريع القتل، وله مهابة، وكان يعمل السيف وأشاع المذابح، ومع هذا فإنه رجل كريم، ورؤوف بأهل العلم، ويقول عندما انتظمت الأمور اتجه إلى بغداد.

ويذكر مؤلف الأحوال كيف أن خواجه كان سجيناً في قلعة الموت، وفي الوقت نفسه كان إلى جانب الحاكم الإسماعيلي، وسعى إلى إفساد عملهم وطلب منهم التسليم، والملاحظة الأخرى عن توجه هولاءكو إلى خواجه، اطلاعه المسبق على كل ذلك.

وفي المصادر المتأخرة قيل أيضاً إن منكو خان أوصى إلى هولاءكو، وطلب منه أن يرسل حملة إلى قلعة الموت من أجل إنقاذ نصير الدين،

1
[Illegible handwritten text]

[Illegible handwritten text]

[Illegible handwritten text]

منهم؛ ولهذا فيجب عدم النظر إليها بوصفها حقائق تاريخية مطلقة.

ويرى المؤلف في هذا الباب بأنه عند إنهاء أمر قلاع الإسماعيلية تحرك المغول صوب بغداد، وتوجد كثير من المطالب حول علاقة العباسيين بالمغول في العقود الأربعة الأخيرة من زمان الناصر (575-622) وحتى المنتصر (623-640) والمستعصم (656)، وفيها يتعلق بالحملة السابقة لهولاكو على طريق بغداد؛ أي قبل سنة 650، فإن المؤلف أشار إلى أن بعضها متعلق بتلك الحقبة السابقة، وهي سنوات 655-656، وتعدُّ الأخبار المتعلقة بعلاقة المغول بالبلاط العباسي واحدة من الموضوعات المفصلة، ونموذج لذلك حملة المغول على أربيل في عصر المنتصر، وكان قد استعد أهل بغداد، وأفتى الفقهاء بأن الجهاد أفضل من الحج، وفي تلك السنة لم يذهبوا إلى الحج، وانشغلوا في إجراء التمارين العسكرية من أجل الاستعداد لمواجهة المغول⁽¹⁾.

وفي هذه المرة فإن هولاكو سعى بعدما أسقط قلاع الإسماعيلية، ولا سيما بعد سقوط قلعة الموت، فالطريق أصبح سالكاً إلى بغداد، وكان مؤلفنا قد أكد أن عدم اعتناء العباسيين بالخطر المغولي كان واضحاً، وقد ذكر في ذلك قائلاً: كان من أمر بغداد أن خلفائها العباسية لم يكونوا يحتفلون بملوك المغول في بدء أمرهم ولا يعتدون به، ومع ذلك صاروا يوافقون الإسماعيلية ويحاربونهم، ويواددون متشيعهم، ويستعينون بهم في الأمور، ويستمدون بفدائيتهم، وملوك المغول كانوا يتسامون بذلك؛ لكنهم كانوا يسامحونهم ويساهلونهم ويستدرجونهم من حيث لا يعلمون، ولا يزدادون إلا تغافلاً وتجاهلاً، ومع ذلك كانوا إذا وصل

(1) جامع التواريخ، ج2، ص575.

بغداد تجارُ بلاد المغول تحسبوا من حالهم، فإن علموا أنهم من جهة المغول أدخلوا أيديهم في أموالهم، وكان رسلُ المغول إذا وصلوها يجسسونهم في البيوت، ويضيقون عليهم في المأكل والمشرب. وربما تكون هذه المعاملة بسبب الاعتقاد أنه قد يكون جاسوساً، فيما كتب البطيطي أن هذا بسبب إذلال التجار المغول.

وعلى مدى العقود الأولى من حملة المغول حتى حملة هولاءكو، جرت حملات مغوليّة على بغداد، وذكر المؤلف أن حملات المغول كانت بقيادة «شرماغون»، ولم يتمكنوا في هذه الحملات من السيطرة على بغداد، وقد رجعوا. ومن وجهة نظر مؤلفنا فإن هذه التّحركات أشبه بالاختبار؛ من أجل معرفة مديات الاستعداد، وهي قد سبقت حملة هولاءكو بسنوات، حين وصل المعتصم في أوّل سنواته إلى منصب الخلافة.

وبحسب رواية «الأحوال» فإنه كان يرسل 1000 دينار من الخليفة إلى هولاءكو، وهل هذه ضريبة أو خراج عباسي إلى المغول؟، كما يروي في المصادر الأخرى، فإن الأمر يحتاج إلى تحقيق أكثر.

فمن وجهة نظر المؤلف، إن العباسيين لم يُحدّثوا بحجم خطر المغول الواقع، على الرّغم من وجود هذا الجيش الكبير، وإنهم كانوا - على ما يبدو - نائمين، واستمر هذا الوضع حتى نصب «هولاءكو» خيمته خلف أبواب بغداد، وبدأ المغول الغارات على الأطراف، فقتل الناس في النواحي تلك، وهرب الجميع إلى داخل مدينة بغداد، وبذلك فإن الخليفة لم يكن يبالي بتلك المخاطر، فيما رأى البطيطي أن الخليفة كان غارقاً في النوم، وأن العدو نصب آلة الحرب، مثل: المنجنيق وغيرها من

الأدوات لحملته على المدينة (ذكر عن الخليفة وهو يتناوم، حتى إذا انتبه من رغيدته وتيقظ من سكرته، فأمر بتطويق أبوابها ونصب المجانيق والفرادات).

عبارة المؤلف في هذا ذات طابع أدبي، وكان يحاول إظهار شدة تلك الحملات، فيصف كيف كانت تقع السهام والرماح على المدينة، وبحسب نظره فإن العباسيين قد أضاعوا الوقت، ومنحوا العدو الفرصة لأن يكونوا خلف أبواب عاصمتهم، وفي هذا الباب وصف هذه الأحداث جيداً بالقول: (فقلن بتضييعه أمره وأن رخاء العيش غره).

فكتب مؤلف الأحوال رسالته قبل عامين من فتح بغداد، وقد اعتمد على سماعاته في سرد أخباره، وذلك في روايته قريباً من فتح بغداد، والتي تأخذ أهمية مضاعفة، فتصويره للأحداث يأخذ ثلاث نقاط أساسية حول الإمكانيات داخل بغداد: الأولى تذبذب الخليفة العباسي في قراره، الثانية الوزير كان توفيقياً ويميل إلى المسامحة مع المغول، وفي ذلك وجود عدم إمكانيات المواجهة ونظرته السلبية إلى الخليفة ومركزه، وثالثاً كان عند أبو بكر بن المستعصم مشكلتين: الأولى مصاحبته للقائد العسكري «دواتدار» الذي لم يرد اسمه في هذه الرسالة، والثانية الضدية الكبيرة ضد الشيعة، واستبداد كل وزير بالآخر، ومن وجهة نظر المؤلف فإن هذه المسألة أبرزت الحس الانتقامي.

إن هذا التفسير يشير إلى علاقاته، وإلى العمل غير الجيد بين الوزير والخليفة، فتلك الآلية في التعامل جعلت من الخليفة ضعيفاً أمام حملة المغول ومواجهتهم، وهي من الأسباب التي جعلت المغول يظهرون

بصورة مفاجئة أمام أسوار بغداد؛ لفتحها، ولذا لم يكن أمام الخليفة سوى التسليم والمعالجة، فهو قد حثهم على بغداد سراً، وجرهم إليها جراً، فإذا كان الأمر كذلك فلم ير الخليفة إلا أن يعرض عليهم المسامحة، ويترك المكافحة.

وبحسب هذه الرسالة التي مصادرها شفوية، يجب القول إنها على تماس بالمغول، وإن الأحداث يقف خلفها ابن العلقمي، وتعدُّ من الأمور الشائعة يومذاك، على الرغم من أن هذا ليس مصدراً رسمياً؛ لكنَّ دليل ذلك أنه شاع بين الناس حينها.

أورد مجريات الأحداث رشيد الدين، فذكر بوضوح في حديثه عن مسعى «دواتدار» القائد العسكري العباسي وجهده في إزاحة المستعصم، وتنصيب أحد العباسيين، ربّما أبو بكر بن المستعصم مكانه، فسمع ابن العلقمي هذا الخبر، وأوصله إلى الخليفة، فطلب الخليفة «دواتدار»، وقال له: «لن أسمع كلام الوزير حول لمزك وأقول لك يجب بأن لا تخون ولا تخرج عن جادة الطاعة»، قال دواتدار: «إذا كان عصياني ثابت فعليك قطع رأسي مع هذا فإن عفو الخليفة وصفحته أين يذهب».

إنَّ الملاحظة هنا حول هذا الحديث أنه مبنيٌّ على أساس الشائعات عن الوزير، التي كانت متداولة بين السنة الناس، وتحديدًا في الأوساط القريبة من «داوتدار»، وهذه رؤية رشيد الدين، واستمر دواتدار بالقول: «أمّا الوزير المخادع الكبير فقد استولى عليه الشيطان وقد ولي هولاءكو وجيش المغول وسعى لإبعاد التهمة عنه وأن يتهم الآخرين والعمل

بالضد من الخليفة فكان يشبه بين هولاکو وجواسيس متوارين»⁽¹⁾.

إنَّ استمرار هذه القصص يشير إلى تسلط «دواتدار» على أوضاع بغداد، ويلاحظ حدة الصِّراع مع الوزير، وهذه القصة تؤكدُ هذا المعنى حين اقترح إعطاء ألف دابة، وألف حمل حمل، وقد ضرب سكةً باسمه من أجل دفع الخطر؛ لكن خالفه في ذلك «دواتدار»، ونتيجةً للنزاع بينه وبين الوزير فقد أرسل رسالةً أكدَّ فيها أنَّ تدبير الوزير كان لمصلحته.

وذكر رشيد الدين: «حينما كان تعامل دواتدار مع الوزير فقد أشاع إنه كان يعمل مع هولاکو ويرمي إلى نصرته وخذلان الخليفة»⁽²⁾، إنَّ هذه التأكيدات التي نلاحظها، والتي يوردها مؤلفُ رسالة الأحوال عن أستراليا والوزير، أنَّ أصل هذه الإشاعات كلها كان بسبب هذه الاتهامات، وفي هذا الباب، وبعيداً عن المجادلات داخل بغداد بين الخليفة والوزير «دواتدار» أمر «هولاکو» أن يتنحى الخليفة، ويسلم بغداد دون مقاومة.

وفي هذه المرة فإنَّ تقرير الأحوال يشير إلى استمرار «هولاکو» بإرسال ممثلين عنه، وبإعطائهم الوعود من أجل خلق علاقة مصاهرة، وبحسب وجهة نظر «البطيبي» فإنه يرمي من خلال وعوده مخادعة الخليفة؛ إذ أمر جيشه بأن تعود السيوف إلى أغمادها: «إنه أرسل الخليفة مراوغاً له مخاتلاً بأن أريد مصاهرتك ومواصلتك بكريمة وكريم منا ومنكم غره واستدراجه وأبهم عليه أمره»، ونعلم من الجانب التاريخي أنَّ الخليفة لم

(1) جامع التواريخ، سقوط المغول، ج2، ص704.

(2) جامع التواريخ، تاريخ مغول، ص702.

يسلم بذلك، وهذا على الأقل من أجل حفظ سلامته، من أجل حفظ دواتدار وآخرين، فإنَّ طريق الصلح قد أصبح موصداً، وأصبح كل طرف مؤيد للحرب، وقد وصلت الأمور إلى إزاحة رأي الوزير جانباً، والعمل برأيه، ورغم هذا فلم يجنِ أية ثمرة عملياً⁽¹⁾.

وازدادت الضغوط العسكرية على أطراف بغداد، وأصبحت قيادة «دواتدار» للجنود أمراً محتملاً، وأصبح الطريق ربّما سالكاً لتسليم الخليفة⁽²⁾، ولم تسنح فرصة أخرى غير أن يسلم نفسه.

ولم تتكلم رسالتنا عن المناسبات على طوال أيام الحصار سوى الحديث عن نصب المنجنيق والرماة؛ لكن في الرسالة التي كتبها نصير الدين الطوسي عن فتح بغداد، يُمكن ملاحظة الآتي: (بدأت الحرب في يوم 22 محرم من سنة 651، دارت 6 أيام بلياليها حرب ضروس وأمر الملك جماعة السادة العلماء (واركؤن) رؤساء المسيحية، والمشايخ والأشخاص الذين لا يقاتلون فإنهم في أماننا، وقد استعرت الحرب ورموا داخل المدينة بالسهم من ستة جهات، وفي الإجمال كانت هنالك حرب شديدة في لياليها وأيامها حتى يوم 28 من محرم، كانت بغداد محاصرة على يد هولاء حتى بلوغ الفجر توجه الجيش إلى السور وأصبحوا قريبين من برج العجم وحاصروها من طرفين، وضج الناس بالصلاة بالقرب من السور حيث المغول، وحينما اخترقوا السور أمر الملك بالصعود والسيطرة على الزوارق وقطع الجسر ونصبوا الحماة والمنجنيق وآلات النفط وعندما حمى وطيس الحرب حاول دواتدار

(1) أنظر جامع التواريخ، تاريخ مغول، ج2، ص705-707.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص709.

أن يفرَّ عن طريق أحد الزوارق، وحينما وصل هذا إلى أسماع المغول فرموه بالمنجنيق والسهام فهرب وأمسكوا بثلاثة من قواربه، وقتلوا الناس وغنموا الأسلحة، وقد هلك نقيب العلويين في أحد الزوارق وحينما فتحوا السور أمر الملك أهل المدينة بخراب السور فبدأ الرسل بالوصول، وقال الملك لدواتدار وسلمان شاه تسليم أنفسهم، وإذا أراد الخليفة تسليم نفسه أو لم يرد⁽¹⁾، وبهذه الأولوية طرح أمر التسليم.

سَلَّمَ الخليفة، وحضر أَمَامَ «هولاكو»، وبرواية أخرى: أنه خرج في موكبٍ مع أربعمئة نفرٍ من رجاله، وعليهم عمائم سود، وحضروا أمام «هولاكو»، ولما رأهم أسرهم، وأورد: (مكبولاً في عقد القد مدوخاً تحت الأسر والشد) وعزلَ القادةَ وأمراءَ الجيشِ والكبارِ ومقربيه جميعهم، وأمرَ أن يقتلهم على ساحلِ دجلة، (ثمَّ أمرُوا بإراقة دمائهم وقطع ذمائهم على شواطئ دجلة وحواليه).

وقبلَ قتله الخليفة، دارَ حوارٌ بينهم لا نعرف بصورةٍ دقيقةٍ إلى أي حدٍّ هو دقيقٌ، وقد ورد في المصادر الأخرى؛ لكن ما أورده يعدُّ مثيراً للانتباه.

وهنا؛ يورد المؤلف أربعة أسطرٍ من تلك الرؤية الشيعية التاريخية ذات العبرة، وهي رؤية المؤلف من منظارٍ شيعي إلى الخليفة العباسي، وتختلف بصورةٍ كبيرةٍ عن منظار الشيعة إلى تاريخ العباسيين مقارنةً بالآخرين، فهذا التاريخ ملطخٌ بجرائم بحق العلويين؛ إذ يصورهم أنهم عاشوا قروناً في السجون والتعذيب والتهجير والقتل، وبعد هذا

(1) تاريخ جهانكشاي، ج3، ص288-289.

كله يلاحظ أن الخليفة العباسي تعرّض إلى ضغط المغول، وبعد المؤلف أن ذلك جزاء أعمالهم في حق أهل بيت النبوة، وهذا الفعل يكاد يختزل كل تلك الجرائم، فالخليفة مغلوب ومكبوب، ووقف مكتوف الأيدي، وكأنه بذلك ضائعاً بما أذاقه آبائه الظلمة على أهل البيت النبوي، لابساً ما ألبسوه على الرهط العلوي.

ومن جهة أخرى أورد البطيبي محادثة بين الخليفة وهولاكو، وكانت موضوعاتها مثيرة، وفي رسالة فتح بغداد لم يظهر ما يوازيها؛ لكن خواجه نصير الدين أورد بعض النكات والملاحظات المهمة، فذكر: (ذهب الملك لمعاينة قصر الخليفة، وكانوا معه جميعاً فأحضر الخليفة وطلب قبل قتل الأبناء إلى الملك وخواصه وعسكره والحاضرين، فقدم طبقاً من ذهب وطلب منه الأكل فقال لا أستطيع الأكل، ثم قال لهاذا قاومت ولم تسلم الجند وبقيت هذه الأبواب الحديدية مؤصدة ولم تأتِ إلى جانب نهر جيحون، حتى لا تقطع كل هذه المسافة، فقال الخليفة هذا تقدير الله، فقال الملك: هذا أيضاً تقدير الله عليك، وعندما حل الليل طلب الخليفة إخراج النساء والأولاد فرافق أبناء الخليفة وكان 700 امرأة و1300 خادم)⁽¹⁾، وتظهر رواية رشيد الدين حالة من الاندهاش حول محادثة ولقاء الخليفة مع هولاكو، وحال الخليفة العام، ومنظر مكان الذخائر (وإجمالاً فإن الخلفاء كانوا قد جمعوها في 500 سنة)⁽²⁾، وقد أورد مؤلف رسالة «الأحوال» عند لقاء هولاكو بالخليفة، أنه تلا بعض أعماله وأفعاله القبيحة والشنيعة، والتي كانت مورد مؤاخذه عليه،

(1) تاريخ جهانكشاي، ج3، ص290.

(2) جامع التواريخ، ج2، ص713.

وجاء ذلك عن طريق سؤال: (هل كان شرب الخمر، وضرب الدفوف والطنبور، والملاعبة بالملاهي، ومعانقة المقابح والمناهي دأب نبيكم محمد وشريعة معاطفكم؟) وكان اللواط بالغلما، والاجتماع بالولدان، والاشتغال بالمعازف والطيان، من سيرته وطريقته، ثم أمر بإخراج تلك الآلات جميعها من قصر الخليفة.

«وقد أحضر ما أخرج من داره من أنواع الملاهي من الدفوف المرصعة، والصفانات والبرابط، والعيدان المذهبة، وجميع أثاث الشراب والخباب المملوءة من الخمر الذهبية، وأوانيها الفضية والقينات المغنية، والجواري المطربة، والغلما الروق الحسان، والمسبكرات الرقاصة، وفنون أداة الميسر من النرد والشطرنج المرصعة». وقَتَلَ الخليفة دون سيف، وكما هي عادة المغول في المواضع التي لا يستفاد فيها من السيف، وقد أشار مؤلف الأحوال إلى أن الخليفة قد رُكِلَ بالأرجل والأيدي دون إعمال السيف، وقيل قبل ذلك فقد قتل ابنه بين يديه؛ أي: أبي بكر، وقد رمى جنازته إلى الكلاب والعقار، ولم ترد هذه المعلومات المتعلقة بالإرث والشراب والفساد عند رشيد الدين في جامع التواريخ، وقد كتب رشيد الدين أن المستعصم بالله كان زاهداً وعابداً، ولم يتناول المسكرات ولم يَطأ المحرمات»⁽¹⁾.

وبعد قتل الخليفة أغار جيش المغول أو الترك والتار على بغداد، وانهمكوا بالمذابح والاستيلاء على الأموال، وأسر النساء والأطفال، وكتب مؤلف «الأحوال» في هذه الأوصاف بطريقة مملوءة بالأدب واصفاً فيها جرائم المغول: (شاهرين سيوف الغضب، مع قلوب موقدة

(1) جامع التواريخ، ج2، ص606.

على أولئك المسلمين والمؤمنين، وأذكوا عليها ضرام الانتقام وشرر الشرر والصخام، وأهبوا عليها شرارة الإغارة، وأواره البوارة، وأوقدوا عليها من نار القتل والاستئصال والآسار ولظى الحرب والكروبة والتبار).

وأخذ هذا الوصفُ صفحةً طويلة، وفي النهاية أشار إلى أسرِ النساء والبنات، وبيعهنَّ في الأسواق: (جعلت في الوثاق وقد الرباق، مغلولة الأيدي إلى الأعناق، مبيعة بثمان بخس في الآفاق، لا سيما في كور خراسان والعراق). وبحسب كتاب مؤلف الأحوال فإنَّ المغول استحوذوا على كل الخزائن التي تعود إلى العصر الأموي والعباسي، فضلاً عن كل الأسلحة والعتاد: (وجمعوا أنواع تلك البقاع والنواحي لحمل ما نهبوا وسلبوا وجمعوا منها واختزلوا، فيما كادت تحمل إلا القليل من تلك النهب والنفائس الخطيرة والغنائم الكثيرة)، وقد أشار المؤلفُ إلى قضية الأطفال في البلاط العباسي، فبحسب تعبيره كانوا بعيدين عن نظر الناس، وقد وضَّعوا الحراس عليهم، حتى كان المولود يشيب ولا يرى إلا والده، فيما دخل المغول بغداد قتلوهم عن آخرهم.

وبهذا فإنَّ سلطة العباسيين قد انتهت، وقطعوا نسلهم، وخربت عمائرهم، ومحيت آثارهم، وأطفأ نورهم، وجعلوا قصورهم وقبورهم وجزبهم شرورهم وغرورهم، ورجعوا إلى صدورهم وبهتانهم وزهدهم)، وذكر أيضاً: (وكم قسمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين)⁽¹⁾، ومرةً أخرى يفيد المؤلف الشيعي بخلفيته الشيعية الخاصة بحسب الروايات التي سمعها، وذلك من خلال كثير من الإشارات في المصادر والتوقعات، مثل: حملة المغول عندما شنَّ

الجيش العباسي الحملة وقارن بينها، وحاول أن يستخلص العبرة منها، وقارن بين حملة المغول وما قام به الجيش العباسي من حملة على المحلة الشيعية: (الكرخ وأعمالهم للقتل في الشيعة العلويين وكان يقود ذلك أبو بكر ابن الخليفة، وأشار إلى كل ذلك من باب العبرة المستعصم وقع فيهم الانتقام الإلهي فقد ذكر بجرائمهم وقال: وكان الخليفة المستعصم هذا؛ أمرَ تعصباً وعداوةً الإغارة على أهل الكرخ من بغداد وقتل أهلها، وسبى جواربها حتى دخلوا على النساء العلوية وغيرها من الشيعة، وأخرجوهم من ديارهم سبايا يبعن في بغداد وأموالهن كذلك، وكان أرسل لذلك الأمر بأهل الكرخ ابنه أبا بكر، فلم تنقض تلك السنة حتى تلك الظلمة حتى أضيّقوا من تلك الكأس وأشربوا من تلك الجرّع من البأس، وصدق الله بهم قوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون)⁽¹⁾، وجرى على سته المحمّودة وطريقته المعهودة: (في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرًا مقدوراً)⁽²⁾.

وآخر عبارات المؤلف تحديده تاريخ حملة المغول على بغداد، وقد ذكر: (وقعت التّار في سنة 656؛ لكن وجدت قبل مناوشات في أيام شهر محرم في تلك السنة)، (وكانت جرت وقعة التّار المغال وشدة وطأتهم وصعود فنتهم على بغداد وما حولها من البلاد المعمورة والأمصار المشهورة، ففي سنة 656م على نفس بغداد ففي إحدى جمعات وسط شهر المحرم من التاريخ المذكور).

وقد ذكر «البطيبي» في هذا قصيدة وصف فيها تلك الحوادث بحسّ

(1) الأنعام: 127.

(2) الأحزاب، 38.

أدبي رفيع، وذكر القصيدة في عدم الأمان من الدنيا، وتصوير بغداد تحت سيطرة المغول أكثر أمر صادق لعدم أمان الزمان.

وكتب في النهاية هذه الأوصاف: لما فرغ «هولاكو» من أمر بغداد وغيرها من البلاد استراح سنة، وأرسل بالذخائر والغنائم إلى حضرة «منكا خان»، وبعض أبناء الخليفة المستعصم كانوا جزءاً من الهدية، بمنزلة هدية السفر، وتهيأ لبلاد الشام ومصر ثم توجه إلى تلك البقاع.

[1]

البابُ السَّابِعُ والعشرون

في مجملٍ من أحوالِ ملوكِ التتارِ الأُمَّةِ
الذينَ ظفروا بالملكِ في زماننا

«بداية أمر جنكيز ورياسته على قومه»

إِعْلَمَ أَنَّهُ حَكَمَى لِي [أَحَدُ] الْأَمَنَاءِ، وَهُوَ حَبِيبُنَا الْأَعَزُّ أَمِينُ الدِّينِ مُحَمَّدُ
بْنُ أَمِيرِ كَانِ الْأَسْتَرِ أَبَادِيٌّ قَالَ:

حَكَمَى لِي بِقِرَاقُورَمُ⁽¹⁾ مُحَمَّدُ الْخَفَّافُ عَنِ بَغْضِ الْمَغَالِيزِ الَّذِي كَانَ
شَيْخًا دَهْرِيًّا مِنْ جُمَلَةِ مَنْ تَقَرَّبَ إِلَى آلِ جَنْكِيْزِ خَانَ، وَتَعَرَّفَ مِنْ حَاهِمِ
مُشَاهِدَةً وَعِيَانًا: إِنَّهُ كَانَ جَنْكِيْزُ خَانَ رَجُلًا دَاهِيًّا ذَا ذَهْنٍ وَرَوِيَّةٍ كَامِلَةٍ
وَذَكَاءٍ وَفِطْنَةٍ، وَكَانَ حَدَادًا نَصَالًا⁽²⁾، وَكَانَ قَوْمُهُ شَرِذْمَةً قَلِيلِينَ⁽³⁾،
لَا غَنَاءَ عِنْدَهُمْ وَلَا دِفَاعَ لَهُمْ، يَخْكُمُ فِيهِمْ وَعَلَيْهِمْ قَوْمٌ آخَرُونَ يُقَالُ
لَهُمْ نَيْمَانِيُونُ⁽⁴⁾، وَهَؤُلَاءِ كَانُوا كَثِيرِينَ مُتَشَرِّينَ شُجْعًا مُغِيرِينَ،
فَكَانُوا يَتَجَاوَزُونَ طَوْرَهُمْ وَيُكْثِرُونَ جَوْرَهُمْ عَلَى قَوْمِ جَنْكِيْزِ خَانَ،
وَيَظْلِمُونَهُمْ، وَيَسْلُبُونَ جَوَارِيَهُمْ وَعِلْمَانَهُمْ، حَتَّى بَلَغَ سَيْلُهُمُ الرُّبَى، وَكَادَ

(1) في الأصل: وبقراقورم - قراقوروم مدينة كبيرة بنيت في عهد أوكتاي قان وأصبحت عاصمة المغول.

(2) النَّصَالُ: صانع النَّصَالِ - وَ(النَّصْلُ) السَّهْمُ وَالسَّيْفُ وَالسُّكَيْنُ وَالرُّمْحُ وَالْجَمْعُ (نُصُولٌ) وَ(نِصَالٌ) وَ(النُّصُلُ) بِضَمِّ الصَّادِ وَفَتْحِهَا السَّيْفُ. (المقوم اللغوي).

(3) الشَّرِذْمَةُ: الطَّائِفَةُ مِنَ النَّاسِ وَالْقِطْعَةُ مِنَ الشَّيْءِ. (المقوم اللغوي).

(4) يشير إلى قبيلة نايمان، المعاصرة للخوارزميين والهميبان والذين وقفوا مع دولة القراخانيين. وهؤلاء القوم حكموا تركستان الشرقية بقيادة كوجلك خان حاكم تركستان، لكنهم سقطوا على يد المغول بقيادة جنكيز.

يَنْقَدُ فِي الْبَطْنِ السَّلَى. (1)

فاجتمع قوم جنكيز خان ذات يوم، وكان أخفضهم نسبا، غير أنه كان له ثروة لم تكن لأصحابه، فتشاوروا في إصلاح حالهم وریش نبالهم، (2) ورَمَّ شعبيهم، (3) وأن الفساد من آية جهة تطرق إليهم، والأعداء كيف يستولون عليهم!

فقال بعضهم: إن تشئت شأننا وتشعث أمرنا وتقسّم حالنا ليس إلا لأنه ليس فينا سيد ذو دهاء، ولا حاكم ذو رأي وذكاء، يدبر أمرنا ويصلح حالنا، نلتجئ إليه عند دهم داهية، (4) أو نشاوره عند صدم باقعة؛ (5) وكل من سوانا لهم رأس وسيد أيد. (6)

فاتفقت أهواؤهم واجتمعت آراؤهم على تسويد واحد منهم يكون فيه شهامة يليق به، [و] لم [يكن به] رغامة، (7) ولم [يكن] جنكيز إذ ذاك

(1) لما بلغ الأمر حدّه، العرب تقول: قد علا الماء الزبي، وانقد في البطن السلى (تاريخ دمشق [بيروت، 1415]: 363/39).

(2) رَأْسُ السَّهْمِ أَلْزَقٌ عَلَيْهِ الرَّيْشُ فَهُوَ مَرِيْشٌ. (المقوم اللغوي).

(3) (رَمَّ) الشَّيْءَ يَرْمُهُ بِضَمِّ الرَّاءِ وَكَسْرِهَا (رَمًا) وَ(مَرَمَةً) أَصْلَحَهُ. (المقوم اللغوي).

(4) الداهية: واحدة الدواهي، وهي ما يصيب الناس من شدائد الدهر ونوازله. والداهية: الرجل الحاذق البصير بالأمور. (المقوم اللغوي).

(5) (الباقعة) ما يدهم من مصائب. ورجل باقعة: داهية وحذر ذو حيلة، وطائر باقعة حذر؛ إذا شرب الماء تلفت يمنة ويسرة والجمع بواقع. (المقوم اللغوي).

(6) (الأيّد) و(الأد) بِالْمَدِّ الْقُوَّةُ، وَرَجُلٌ (أَيْدٌ) بوزن جيد: أي قوي. (المقوم اللغوي).

(7) رغامة: الدل.

مَعَهُمْ فِي هَذِهِ الْمَشُورَةِ وَالْكِنْكَاشِ؛⁽¹⁾ وَأَجَالُوا أَذْهَانَهُمْ فِي كُلِّ [شَيْءٍ] حَتَّى اجْتَمَعَتْ أَقْوَاهُمْ عَلَى أَنَّ [2] جَنْكِيَزَ الْحَدَادَ لَهُ اسْتِعْدَادٌ هَذَا الْأَمْرِ وَاسْتِحْقَاقٌ هَذَا الشَّانِ، فَفِيهِ حَصَافَةٌ وَكِيَاسَةٌ وَذَكَاءٌ وَفَطَانَةٌ؛⁽²⁾ فَقَامُوا بِأَسْلِحَتِهِمْ إِلَى بَابِهِ، وَأَرْسَلُوا مَنْ يَدْعُوهُ لَهُمْ.

فَلَمَّا أَخْبِرَ بِذَلِكَ أَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً،⁽³⁾ وَخَرَجَ بِسِلَاحِهِ، وَقَامَ نُبْذَةً وَانْتَبَذَ نَاحِيَةً،⁽⁴⁾ وَنَادَاهُمْ: يَا هُوْلَاءِ! أَظُنُّكُمْ جِئْتُمُونِي بِالشَّرِّ، وَلَعَلَّ قَلِيلَ مَالِي مَلَأَ عُيُونَكُمْ حَتَّى أَسَأْتُمْ فِي ظُنُونِكُمْ، فَوَاللَّهِ لَا تَسْلُبُونَ مَالِي وَقَدْ بَقِيَ فِي يَدَيَّ قَوْسِي وَنَبَالِي، وَإِلَّا فَاْمُضُوا عَلَى أَذْرَاجِكُمْ، فَإِنَّ وَفْرِي لَا يُشْبِعُ بَطْنَكُمْ،⁽⁵⁾ وَرَذَاذِي⁽⁶⁾ لَا يُسَكِّنُ غُلَّتَكُمْ.⁽⁷⁾

فَقَالَ الْقَوْمُ: مَا جِئْنَاكَ مُضِرِّينَ وَلَا مُغِيرِينَ، وَإِنَّمَا سَاقْنَا إِلَيْكَ مَصْلَحَةً عَامَّةً لَا بُدَّ لَكَ مِنْ إِجَابَتِنَا إِلَيْهَا.

(1) كِنْكَاشٍ أَوْ كِنْكَاجٍ، كَلِمَةٌ مَغُولِيَّةٌ بِمَعْنَى الْفَحْصِ عَنْ تَعْيِينِ رَجُلٍ مِنْ رُؤَسَاءِ الْقِبَائِلِ لِلسُّلْطَنَةِ.

(2) الْفَطَانَةُ الْمَهَارَةُ وَالْحَذَقُ وَقُوَّةُ اسْتِعْدَادِ الذَّهْنِ لِإِدْرَاكِ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ. وَفَطِنَ الْأَمْرَ: عَلِمَهُ وَتَبَيَّنَهُ. (المَقْوَمُ اللَّغْوِيُّ).

(3) أَوْجَسَ خِيفَةً: خَافَ فِي نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَظْهَرَ الْخَوْفَ عَلَى وَجْهِهِ. وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ النَّبِيِّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى). (المَقْوَمُ اللَّغْوِيُّ).

(4) الْإِنْتِبَازُ عَنِ النَّاسِ: الْإِنْعِزَالُ عَنْهُمْ. (المَقْوَمُ اللَّغْوِيُّ).

(5) الْوَفْرُ: بوزن النَّصْرِ: الْمَالُ الْكَثِيرُ. (المَقْوَمُ اللَّغْوِيُّ).

(6) الرَّذَاذُ: الْمَطَرُ الْقَلِيلُ.

(7) (الْغُلَّةُ) وَ(الْغَلِيلُ) حَرَارَةُ الْعَطَشِ. (المَقْوَمُ اللَّغْوِيُّ).

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ قَالَ: فَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَارْجِعُوا إِلَيَّ بِبُيُوتِكُمْ،
وَأَنْزِعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَضَعُوهَا،⁽⁸⁾ ثُمَّ لِيَرْجِعْ إِلَيَّ بَعْضُكُمْ، فَأَرَى رَأْيِي.

فَفَعَلُوا كَذَلِكَ وَأَتَاهُ بَعْضُهُمْ، وَبَثُّوا إِلَيْهِ خَفِيَّ أَمْرِهِمْ،⁽⁹⁾ فَأَبَى وَنَبَأَ،
حَتَّى أَلْحَوْا عَلَيْهِ. فَقَالَ: فَإِذَا كَانَ لِأَبْدٍ مِنْ ذَلِكَ، فَعَاهِدُونِي وَبَايَعُونِي عَلَى
الطَّاعَةِ وَالتَّبَاعَةِ، وَلَا تَخْرُجُوا عَمَّا أُسْنُهُ فِيكُمْ، وَلَا تَطْرَحُوا يَأْسَاتِي،⁽¹⁰⁾
وَأَوَامِرِي. فَعَاهَدُوهُ عَلَى الْإِمَارَةِ وَالرِّيَّاسَةِ وَسَوَدُوهُ فِي الرِّعَايَةِ
وَالسِّيَّاسَةِ.

وَكَانَ لَهُمْ عَادَةٌ سَيِّئَةٌ فِي الْإِثْيَانِ إِلَى النِّسَاءِ الْأَجْنَبِيَّاتِ، وَإِطَالَةِ الْأَيْدِي
إِلَى الْجَوَارِي، وَالسَّرِقَةِ، وَسَلْبِ بَعْضِهِمْ مَالَ بَعْضٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ
الشُّيْمِ الرَّذِيلَةِ وَالْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ، فَأَجْرَى إِلَيْهِمْ يَأْسَاتِهِ، بِأَنَّ مَنْ لَمْ يَمْتَنِعْ
عَنْ هَذِهِ الْأَفَاعِيلِ الرَّكِيكَةِ غَيْرِ الْجَمِيلَةِ، أَمَرَتْ بِقَتْلِهِ، وَنَهَبِ أَمْوَالِهِ
وَأَهْلِهِ، حَتَّى امْتَنَعُوا عَنْهَا وَصَلَحُوا. ثُمَّ قَالَ: فَلْيَتَهَيَّأْ كُلُّ بِيَا لَهُ [3] مِنْ
الْعُدَدِ وَالْآلَةِ وَلْيَتَشَمَّرْ.

(8) في الأصل: ووضعوها.

(9) أبته سره: أظهره له. (المقوم اللغوي).

(10) ياساتي: لم أعر في المراجع على معنى الكلمة، لكن جاء في القاموس: يَسَّ يَسِّسُ
بالكسرِ فيهما - وهو شاذ. ورجلٌ (يُؤسُّ) ويَسُّ أيضاً بمعنى «عَلِمَ» في لغة النَّخَعِ.
ومنه قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَأْسِ الَّذِينَ آمَنُوا) سورة الرعد الآية (31). ولعل قصده
هنا قراراته المبنية على علومه. (المقوم اللغوي).

«حُرُوبُ چنكيز خان مع النيمانيين»

ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِاللَّتِجَاءِ إِلَى أَمْنَعِ الْأَمَاكِينِ وَأَخَصَنِ الْمَوَاقِفِ،⁽¹⁾ مِنْ غَيْرَانِ بِلَادِهِمْ وَأُودِيَّتَيْهَا وَأَنْ يُنْزِلُوا بِهَا حُرْمَهُمْ وَأَهَالِيَهُمْ وَمَنْ لَا غَنَاءَ لَهُمْ فِيهَا بَيْنَهُمْ، فَفَعَلُوا كَذَلِكَ، فَأَرْسَلَ نَيْمَانِينَ⁽²⁾ دَسِيسًا إِلَى أَعْدَائِهِمْ وَجَاسُوسًا يَتَجَسَّسُ مِنْ شَأْنِهِمْ وَمَكَانِهِمْ،⁽³⁾ حَتَّى إِذَا غَابَ مِنْ أَهْلِ بِلَادِهِمْ شُجْعَانُهُمْ وَذُووُ غَنَائِهِمْ عَنْ مَنَازِلِهِمْ، لِيَا كَانَ النِّيمَانِيُّونَ سَلَائِينَ مُغِيرِينَ حَالًا فَحَالًا؛ أَخْبَرَهُ الدَّسِيسُ بِذَلِكَ إِلَى أَنْ اتَّفَقَتْ غَيْبَتُهُمْ حِينًا مِنَ الْأَحْيَانِ، وَلَمْ يَغْبِرْ⁽⁴⁾ فِي الْمَنْزِلِ إِلَّا ضِعَافُ الصَّبِيَانِ وَالنِّسْوَانِ، أَمَرَ شِرْذِمَتَهُ بِالتَّهْيِئِ لِلْفَتْكِ بِهِمْ وَالهَجُومِ عَلَيْهِمْ؛ فَدَهَمُوهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ مُغْتَرِّينَ فَارِغِينَ، وَانْتَهَبُوا أَمْوَالَهُمُ النَّاطِقَةَ وَالصَّامِتَةَ،⁽⁵⁾ وَاسْتَبَوْا أَرْوَاجَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَجَوَارِيَهُمْ إِلَّا مَا انْفَلَتَ مِنْ رَبِيقَتِهِمْ، وَرَجَعُوا غَانِمِينَ سَالِمِينَ وَافِرِينَ، فَرَمُّوا بِأَمْوَالِهِمْ شَعَثَ أَحْوَالِهِمْ.

(1) في المخطوطة: المرافق.

(2) صورة أخرى من كلمة: «نايمان».

(3) دَسَّ الشَّيْءَ فِي التَّرَابِ أَخْفَاهُ فِيهِ. وَهُوَ هُنَا الْجَاسُوسُ يُدَسُّ فِي الْعَدُوِّ يَأْتِي بِأَحْوَالِهِ وَأَخْبَارِهِ. وَيُقَابِلُهُ الْجَاسُوسُ وَهُوَ مِنْ يَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ يَخْصُهُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ يَعْقُوبَ لَبْنِيهِ: (اذْهَبُوا فَتَحْتَسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ). (المقوم اللغوي).

(4) ولم يبق.

(5) الهال الناطق الدواب، والصامت النقود والدنانير. (المقوم اللغوي).

والقوم - أغني أعداءهم - إذ ذاك كانوا قد فتكوا بالقفجاق،⁽¹⁾ وهم
جم غفير من الترك، فرجعوا بأمواتهم وإفرة، فأخبروا بما جرى على
مخلفتهم وأهلينهم، فاجتمع كبارهم وذوو آرائهم يتفكرون في أمر الحداد
جنكيز، وأنه كيف تدفع جزأته وجريرته، وتحمد نائزته قبل هيجان
شعلتها وثوران فتنتها.

فقالوا: وزبنا يكون الالتفات إلى الأمر الحقيق بصير سبباً لفخامته
ووسيلة إلى جسامته، بل الاستنامة وقلة الاختفال به أذعى إلى الحزامة
وأجذب للسلامة.

وقد أخطؤوا في ذلك وأسأؤوا أمرهم هنالك، فإن الحكيم قد قال: لا
تخترن صغيرة فإن الجبال من الحصى، وإن قليل النار يحرق كثير الديار،
والفتنة صغيرة تسكينها⁽²⁾ أيسر وأسهل مما إذا احتاجت وانبعثت وطالت
فروعها ونمت أصولها [4] وتشعبت أبوابها وفصولها. فقالوا: إن هؤلاء
لا يلبق بحالنا أن نواجههم كفاحاً ونقاتلهم جهاراً وصفاحاً.⁽³⁾

وجنكيز لما أحس بهم التجأ إلى بعض رؤوس الأجبال⁽⁴⁾ المنيعة
والأماكن المتحصنة.

(1) كذا في الأصل مع هذا الإعراب. في الفارسية: قجاق (مع سكون الباء).

(2) في الأصل: تسليتها.

(3) (كفحة) استقبله كفة كفة. وفي الحديث: إنني لأكفحها وأنا صائم. أي أواجهها
بالقبلة. وفلان (يكافح) الأمور أي يباشرها بنفسه. وصفح الشيء ناحيته، وصفح
الجبل مثل سفحه. يريد أنه يقابلهم بشكل علني وجهاً لوجه. (المقوم اللغوي).

(4) الأجبال: جمع جبل جمع تكسير. تقول: أجبل - جبال - أجبال. (المقوم اللغوي).

فَرَأَى النِّيْمَانِيُونَ أَن يَنْزِلُوا حَوْلَ ذَلِكَ الْجَبَلِ بِلْفِهِمْ وَلَفِيهِمْ⁽¹⁾
وَيُجْعِعُوا بِهِمْ حَتَّى يَصِيرُوا مُضْطَرِّينَ،⁽²⁾ فَيَكُونُ صِيُورَ⁽³⁾ أَمْرِهِمْ، إِمَّا
دَمًا أَوْ إِسَارًا، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْقَتْلَ بِالْحَقِّ أَوْلَى وَأَجْدَرُ، وَبَذَلَ النَّفْسَ
سَاعَةً أَوْلَى مِنْ ذُهْنًا أَبَدًا وَأَيْسَرُ.

فَاخْتَفُوا بِذَلِكَ الْمَكَانِ نَازِلِينَ.

وَهُمْ - عَلَى قَلْتِهِمْ - كَالصُّقُورِ يَعْبَثُونَ بِهِمْ وَيَعِيْثُونَ عَلَيْهِمْ وَيَنْقُضُونَ
إِلَيْهِمْ آوِنَةَ الْاِغْتِرَارِ وَالْغِيَابِ مِنْهُمْ حَتَّى إِذَا اسْتَنَامُوهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ، هَجَمُوا
عَلَيْهِمْ وَقَتَلُوا كَثِيرًا مِنْهُمْ، وَانْهَزَمَ الْبَاقُونَ؛ فَاسْتَحْوَذُوا عَلَى وَفُورِهِمْ
وَأَمْوَالِهِمْ وَخَيْلِهِمْ وَإِبِلِهِمْ وَغَنَمِهِمْ، وَصَارُوا مُثِيرِينَ [مُثْرِينَ] أَغْنِيَاءَ
وَذَهَبَ عَنْهُمْ الْقُلُّ،⁽⁴⁾ وَفَارَقَهُمُ الْمَهَانَةُ وَالذُّلُّ، وَاتَّصَلَ بِهِمُ الْمُسْتَعْنِمُونَ
وَالْمُسْتَعِيرُونَ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، وَالتَّفُّوا بِهِمْ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ،⁽⁵⁾ حَتَّى صَارُوا
جِيلاً كَثِيراً⁽⁶⁾ وَجَمًّا غَفِيْرًا، فَسَطُّوا أَيْدِيَهُمْ وَأَطَالُوْهَا إِلَى الْبِقَاعِ وَالْبُلْدَانِ،
قَسْرًا وَقَهْرًا، وَافْتَحُوْهَا جَوْرًا وَجَبْرًا.

(1) اللَّفُّ وَاللَّفِيْفُ: مَا اجْتَمَعَ مِنَ النَّاسِ مِنْ قِبَالٍ وَأَخْلَاطٍ شَتَّى شَرِيفِهِمْ وَوَضِيعِهِمْ،
قَوِيهِمْ وَضَعِيفِهِمْ. (المَقْوَمُ اللَّغَوِيُّ).

(2) (الْجَعْجَعَةُ) فِي الْأَصْلِ صَوْتُ الرَّحَى. وَفِي الْمَثَلِ: أَسْمَعُ جَعْجَعَةً وَلَا أَرَى طِحْنًا.
بِكَسْرِ الطَّاءِ أَيْ دَقِيْقًا. وَقَدْ اسْتَعَارَهُ هُنَا لِلإِشَارَةِ إِلَى صَوْتِ جَلْبَةِ الْجَيْشِ وَحَرَكَتِهِ
لِيَحْرَكَهُمْ وَيَقْلِقَهُمْ. (المَقْوَمُ اللَّغَوِيُّ).

(3) جَاءَ مِنْ كَلِمَةِ «الصَّيْرُورَةُ»: وَإِلَى مِنْ يَكُونُ صَيُورَ أَمْرَهَا.

(4) الْقُلُّ: الْحَاجَةُ وَضَيْقُ ذَاتِ الْيَدِ. (المَقْوَمُ اللَّغَوِيُّ).

(5) شَوْبٌ.

(6) الْجَيْلُ: كُلُّ صِنْفٍ مِنَ النَّاسِ. (المَقْوَمُ اللَّغَوِيُّ).

«سُلْطَةُ جَنْكِيْزِ خَانَ عَلَى بِلَادِ الصِّينِ»

وَصَارَ جَنْكِيْزُ خَانَ كَبِيْرًا وَآمِيْرًا شَهِيْرًا، مَبْسُوْطَ الْبَاعِ، كَثِيْرَ الْجُنْدِ وَالتَّبَاعِ، وَطَمَحَ بِبَصْرِهِ⁽¹⁾ إِلَى الْبِلَادِ الْقَاصِيَةِ وَالْأَمَاكِنِ النَّائِيَةِ، وَتَرَدُّ إِلَيْهِ التَّجَارُ وَذَوُو الْاِخْتِيَارِ وَالْأَخْبَارِ، يُخْبِرُوْنَهُ بِأَحْوَالِ الْبُلْدَانِ وَنَوَاحِي الْأَفَاقِ حَتَّى اسْتَوَلَى عَلَى طَرَفِ كُلِّ⁽²⁾ مِنْ بِلَادِ خُطَاءَ.

وَأَمْتَنَعَ عَلَيْهِ بَعْضُ مُلُوكِ خُطَاءَ أَلْتُونِ مَلِكُ، فَحَاصَرَهُ بِأَجْنَادِهِ مُدَّةً مَدِيْنَةً، وَلَمْ يَكُنْ يَزِدَادُ سَعِيَّهُ إِلَّا إِكْدَاءً وَلَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ إِلَّا أَجْدَاءً.⁽³⁾

[5] وَكَانَ فِي جُنْدِهِ رَجُلٌ بَارِعٌ كَامِلٌ مِنَ الشَّيْئَةِ سَدِيْدَةٌ عَرَبِيٌّ النَّسَبِ وَاللِّسَانِ، يُقَالُ لَهُ «جَعْفَرُ خَوَاجَه» فَآتَى جَنْكِيْزَ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَالَ لَهُ: أَيُّ شَيْءٍ كُنْتَ تَصْنَعُ بِي مِنَ الْإِحْسَانِ إِنْ فَتَحْتُ لَكَ هَذِهِ الْبَلْدَةَ؟. وَهِيَ خَانَ بَالِغٌ.⁽⁴⁾

فَقَالَ: إِنْ تَيْسَّرَ لَنَا الْأَمْرُ عَلَى يَدِكَ، فَلَكَ مُلْكُ أَلْتُونِ مَلِكِ، وَزَوْجَتُهُ وَسَرِيْرُهُ.

(1) في الأصل: ببصرة.

(2) في الأصل: كل مل!

(3) الكدُّ الشَّدَّةُ في العمل وطلبُ الكسب. و(كَدَّةٌ) أَنْعَبَةٌ. و(يَجْدِي) عنك هذا يُغْنِي. (المقوم اللغوي).

(4) في الأصل: خام بالغ. «خان بالغ» يسمي اليوم بيجين أو بكين.

وَكَانَ جَعْفَرُ قَدْ عَرَفَ خَفَاءَ بِأَطْرُقِهَا⁽¹⁾ لِكثْرَةِ مَا كَانَ يَتَجَرُّ إِلَيْهَا،
 فَذَهَبَ بِالْجُنْدِ إِلَى بَعْضِ الطُّرُقِ، وَقَبِضَ عَلَيْهَا وَافْتَتَحَهَا، وَأَسَرَ مَلِكَ
 التُّونِ، فَقَتَلَهُ⁽²⁾ جَنْكِيزُ خَانُ، وَفَوَّضَ إِلَى جَعْفَرَ مَا عَاهَدَهُ أَنْ يُفَوِّضَهُ إِلَيْهِ
 مِنْ سَرِيرِهِ وَزَوْجَتِهِ، وَرَجَعَ عَنْهُ مَعَ غَنَائِمٍ لَا تُحْصَى وَلَا تُعَدُّ.

(1) كذا- يجتمل: خفاء طرقها أو خفي طرقها.

(2) في الأصل: قتلها.

« جنكيز خان وسلطان خوارزمشاه »

ثُمَّ هَيَّا جَيْشَهُ إِلَى بِلَادِ قَفْجَاقٍ،⁽¹⁾ وَاسْتَوَلَى عَلَى بَعْضِهَا، فَلَمَّا ظَهَرَ أَمْرُهُ
وَأَنْتَشَرَ سَأْنُهُ؛ حَتَّى نَمِيَ إِلَى سُلْطَانِ خَوَارِزْمٍ، فَهَابَهُ فِي نَفْسِهِ، وَاسْتَقْبَلَ
الْأَمْرَ قَبْلَ اسْتِفْحَالِهِ وَوَبَالِهِ، وَتَفَاقَمَ نِكَالَهُ وَأَثْقَالَهُ، وَبَعَثَ إِلَى التَّتَارِ بِجَيْشِهِ،
فَعَالَجُوهُمْ وَنَاوَسُوهُمْ، وَنَالُوا مِنَ التَّتَارِ أَمْوَالًا جَمَّةً وَسَبَايَا كَثِيرَةً، وَفَلَّلُوا⁽²⁾
نَابَهُمْ وَفَتَّوْا فِي عَضْدِهِمْ، وَقَطَعُوا طَمَعَهُمْ عَنِ الطُّمُوحِ إِلَى بِلَادِ إِيرَانَ وَمَا
وَرَاءَ النَّهْرِ، وَرَضُوا بِبِلَادِهِمْ، وَمَدَّوْا أَعْنَاقَهُمْ إِلَى الْمَصَالِحَةِ وَأَيْدِيَهُمْ إِلَى
الْمَصَافِحَةِ. وَسُلْطَانُ ذَلِكَ الْأَوَانِ يُسَاعِثُهُمْ وَيُعَامِلُهُمْ بِالْمَهَانَةِ الرَّادِعَةِ عَنِ
تَصَوُّرِ الْمَهَانَةِ مِنْ جِهَةِ الْخُصُومِ؛ وَالْعَقْلُ يَقْضِي بِذَلِكَ أَحْيَانًا، فَإِنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ
وَجْهًا وَزَمَانًا وَمَقْصِدًا وَمَكَانًا. حَتَّى آلَ الْأَمْرُ إِلَى السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ⁽³⁾ وَكَانَ
ذَا شَوْكَةٍ مُحْدَبًا،⁽⁴⁾ شَدِيدَ الْغَيْظِ وَالْغَيْرَةِ، حَتَّى سَمِعَتْ كَثِيرًا مِنَ الْكِبَارِ أَنَّهُ

(1) كذا- ورد سابقاً بلفظ: قفجاق.

(2) يحتمل: فلوا.

(3) وكما جاء في مقدمة هذه الرسالة: إن السلطان محمد (حكمه 596 - 617) قبل
حملة جنكيز على الغرب، حتى جاء عهد ابنه جلال الدين الذي حل مكانه، وهو قد
اصطدم بالمغول، وفي الحقيقة كان ذلك الحرب الأولى التي وقعت في عهده والتي
استطاع فيها أن يحوز على أراضي مهمة من العالم الإسلامي في ما وراء النهر حتى
خراسان. ويلحظ أن هذا المطلب الذي أورده المؤلف قد وقع في خطأ وخلط بين
السلطان محمد وابنه جلال الدين.

(4) الحدبة: الشدة.

كَانَ يَلُومُ أَحْيَانًا أَبَاهُ السُّلْطَانَ عَلَى مُسَاحَةِ التَّتَارِ وَمُدَارَاتِهِمْ، وَيَسْتَحِثُّهُ عَلَى تَضْيِيقِ الْأَمْرِ عَلَيْهِمْ وَالْجَعَجَةَ بِهِمْ فِي دَارَاتِهِمْ.

فَلَمَّا آلَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ، هَيَّا لَهُمْ جُنْدًا جُرَّارًا [6] يُثِيرُ عَلَى التَّتَارِ مِنْ شِدَّةِ الْمَكَافِحَةِ نَارًا، وَقَامَتْ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ عَلَى سَاقِهَا، وَضَاقَتْ الْحُجْنُ⁽¹⁾ عَنْ نِطَاقِهَا حَتَّى رَكِبَ بِنَفْسِهِ إِلَيْهِمْ وَنَاوَشَهُمُ الْحَرْبَ، وَنَكَى⁽²⁾ فِيهِمْ نِكَايَةً، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ تَجَاوَزَ طَوْرَهُ، وَأَرَادَ أَنْ يَسْلُكَ فِي طَلَبِ الْمَلِكِ نَجْدَهُ وَغَوْرَهُ.

فَاتَّفَقَ أَنْ وَاحِدًا مِنْ آلِ جَنْكِيَزِ خَانَ أَوْ بَعْضِ أَبْنَائِهِ كَانَ رَكِيبًا لِلصَّيْدِ مَعَ جُنْدِ جُرَّارٍ كَانُوا فِي الْحُرُوبِ كَأَوَارَةِ نَارٍ، وَافَى السُّلْطَانَ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِينِ، فَطَالَبَ السُّلْطَانَ بِتَخْلِيَةِ سَبِيلِهِ وَأَلَّا يَتَعَرَّضَ لَهُ بِسُوءٍ، فَلَمْ يُخَلِّ السُّلْطَانُ سَبِيلَهُ وَلَمْ يُعْطِهِ سُؤْلَهُ وَأَبَى إِلَّا التَّضْيِيقَ عَلَيْهِ وَالْأَسْرَ لَهُ وَجُنُودِهِ، وَكَانَ الرَّجُلُ الْخَانِيُّ مَوْصُوفًا بِجُرْأَةِ الْجَنَانِ وَمُعْتَصِدًا بِقُوَّةِ الْبَنَانِ،⁽³⁾ عَالِمًا بِأَعْمَالِ الضَّرَابِ وَالطَّعَانِ، فَلَمْ يَرِ إِلَّا أَنْ يَدْهَمَ السُّلْطَانُ وَيَهْجُمَ عَلَيْهِ، فَإِنْ خَلَّى سَبِيلَهُ وَإِلَّا بَلَغَ عُذْرَهُ، «وَمُبْلَغُ عُذْرِ نَفْسِهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ»⁽⁴⁾ فَزَحَفَ بِجُنْدِهِ عَلَى صُفُوفِ السُّلْطَانِ، وَشَقَّهَا شَقَّ الشَّعْرَةِ بِالْبَنَانِ.

(1) كذا الأصل. إضافة المقوم اللغوي: ولكن بتخفيف الجيم لا بتثقيلها بالشدة. والحجنة: كل معوج. وحجن الشعر: تجعدت أطرافه. وهو هنا كناية عن ضيق الأمور والتوائها وتشعبها.

(2) الأصل: بكى.

(3) الجنان: القلب. والبنان أصابع اليد. يريد الإشارة إلى قوتها. (المقوم اللغوي).

(4) وتام البيت هكذا: ليلغ عذراً أو يصيب غنيمة / ومبلغ نفس عذرها مثل منجح.

فَاطْلَعَ بِذَلِكَ عَلَى خَوَرِ عُوْدِ الْخَوَارِزْمِيَّةِ، فَسَاوَرَ فِي مُعَاوَنَةِ بِنَفْسِهِ
 الْأَبِيَّةِ وَجُنُودِهِ التُّرْكِيَّةِ، وَفَتَحَ فَاعْرِةَ السُّيُوفِ لَا تَبْتَلِعُ إِلَّا لُقَمَ نُفُوسِ أَهْلِ
 الصُّفُوفِ، وَأَقَامُوا حَرْبًا اخْتَرَقَ [اخْتَرَقَتْ] بِنَارِهَا جَبْهَةَ النَّثْرَةِ، وَاخْتَفَى
 [وَاخْتَمَّتْ] بِغَبَارِهَا جَهْرَةَ الْمَجْرَةِ،⁽¹⁾ حَتَّى خَانَتْ غَايِبَةَ الدَّوْلَةِ سُلْطَانَهَا،
 وَوَضَعَتْ فِي كَفِّ الْكُفْرَةِ سَاقَهَا وَبَنَانَهَا؛ فَوَلَّى جُنُودُ السُّلْطَانِ أَدْبَارَهُمْ
 مُنْهَزِمِينَ، وَالسَّارُّ تَكْسَعُ عَلَى أَدْنَاهِمُ⁽²⁾ مِغْتَنِمِينَ حَتَّى دَخَلُوا بِلَادَ
 الْإِسْلَامِ، وَشَنُّوا عَلَيْهَا ضِرَامَ الْإِنْتِقَامِ؛ وَفَتَحُوا بُلْدَانَ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ،
 وَأَرَأَقُوا دِمَاءَ أَهْلِهَا بِسُيُوفِ الْحَمِيَّةِ؛ وَطَرَدُوا السُّلْطَانَ فِي الْبُلْدَانِ
 تَبْلُدًا،⁽³⁾ [7] وَجُنْدُ الْكُفْرَةِ يَزْدَادُ مَدَدًا فَمَدَدًا. فَصَارَ السُّلْطَانُ وَأَهْلُهُ أَثْرًا
 بَعْدَ عَيْنِ،⁽⁴⁾ وَتَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الْفَنَاءِ وَالْحَيْنِ.⁽⁵⁾

(1) المجرة مجموعة النجوم. (المقوم اللغوي).

(2) كسع فلاناً: ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه. (المقوم اللغوي).

(3) في الأصل: ابلدا! تبلد والتي تعني حيرت. تبلد: أي تردد متحيراً. (توضيح قياسي).

(4) إشارة إلى مثل: لا اطلب أثراً بعد عين.

(5) (الحين) بالفتح: الهلاك. وَقَدْ (حَانَ) الرَّجُلُ أَي هَلَكَ. (المقوم اللغوي).

«جلوس أوكتاي قان على سرير الملك بعد جنگيز خان»

ثُمَّ إِذْ كَانَ لِجُوكِيَرِ خَانَ أَرْبَعَةُ أَبْنَاءٍ أَوْ كُنْتَايُ قَانُ، وَطُولُ خَانَ، وَجَحْطَايُ،⁽¹⁾ وَاجُوجِيُّ أَبُو أَبَاتُو خَانَ. «فَلَمَّا كَانَتْ السُّلْطَانِيَّةُ أَخْتَرَمَتْ عُرُوقَهُمْ، وَحَدَّثَتْ نَارَ ذَوْلَتِهِمْ، جَلَسَ قَانُ عَلَى سَرِيرِ الْمَلِكِ، وَكَانَ يَدُولًا لِلْعَنَائِمِ وَهُوَ بَا لِلرَّغَائِبِ، أُشْتَهَرَ فِي الْخَافِقِينَ ذِكْرُ سَخَائِهِ،⁽²⁾ وَمَلَأَ الشُّرَقِينَ رِيًّا بِهَائِهِ وَأَنْدَائِهِ، أَقْلُ صِلَاتِهِ كَانَتْ بُلْدَانًا مَعْمُورَةً وَخَزَائِنَ مَوْفُورَةً، وَبِقَلِيلٍ مُخْفَةٍ إِلَيْهِ تُنَاوَلُ الْوَلَايَاتُ، وَصَغِيرٌ هَدَايَاهُ تُجَاوِزُ لِلْأَعْمَارِ الْكَفَايَاتُ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ،⁽⁴⁾ فَصِيرٌ⁽³⁾ سَرِيرِ الْمَلِكِ وَالْخَانِيَّةِ خَالِيَيْنِ، وَالْأُمُورَ مَوْكُولَةً إِلَى النَّسْوَانِ وَالصَّبِيَّانِ وَمَعَ ذَلِكَ فَمُلْكُهُمْ كَانَ مُطْمَئِنًّا الْأَضْرَافِ، سَاكِنَ النَّوَاجِي وَالْأَرْجَاءِ، لَهَا كَانَ بَاتُو خَانَ» عَلَى مَكَانِهِ

(1) في الأصر: جحطرا.

(2) وقد أشرنا إلى ذلك في المقدمة التي كان فيها جوجي الابن الرابع لجنگيز خان وحبيبه وحبفته في أرض قنجاقي است.

(3) أشهر في الشرق. إحاطه آخر الزمان انظر: تاريخ المغول لعباس إقبال. ص

(4) توفي أوكتاي قان سنة 639.

(5) في الأصر: قعير.

(6) في الأصر: بترخاق. في هذه الكلمة خطأ ويجب أن يكون المعنى باتو خان ابن جوجي والذي أصبح بعد موت أبيه وارثه، والذي حاز على حالات روسية وأرض قنجاقي التي كان لها أدوار مهمة في مسح منكو خاغان السلطة. ومنكو كان ابن تولوي

بِجُنُودِهِ الْجَمَّةِ وَأَعْوَانِهِ وَأَخُوهُ بُرُكْتُ خَانَ كَذَلِكَ كَانَ جَبَّاراً⁽¹⁾ مَعَ جُنُودِ
كَثِيرَةٍ الْعَدَدِ وَالْمَدَدِ، وَكَذَلِكَ جَخَطَايُ.

وَكَانَ بَاتُو خَانُ مَعَ كُفْرِهِ قَدْ بَلَغَ فِي الْعَدْلِ أَقْصَاهُ، وَتَجَاوَزَ فِي الْإِنْصَافِ
مُسْتَهَاهُ،⁽²⁾ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ مِنْ مُلُوكِهِمْ أَحَدٌ لِهَذَا مَبَانِي الْإِسْلَامِ، بَلْ تَرَكَوْهَا
عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ النَّظَامِ، وَأَمَرُوا بِتَرْبِيَةِ الْعُلَمَاءِ الْإِسْلَامِيَّةِ⁽³⁾
وَتَقْوِيَتِهِمْ وَتَوْفِيرِ الْوُظَائِفِ وَالْمَرْسُومَاتِ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ، وَأَمَرُوا بِرَدِّ
الْحُكُومَاتِ إِلَى قُضَاةِ الْإِسْلَامِ فِي الْقَضَايَا الشَّرْعِيَّةِ إِلَى الْأُئِمَّةِ وَالْحُكَّامِ،
وَاحْتِرَامِهِمْ، وَوَقْرِهِمْ حَقَّ التَّوْقِيرِ، وَلَمْ يُؤْذَوْهُمْ بِنَقِيرٍ.⁽⁴⁾

وأخ قويلاي وهو لاكو- وجاء بعد سطرين من «باتو خان».

- (1) في الأصل: حيار.
- (2) في الأصل: منها.
- (3) في الأصل: العلاء الملامية! إضافة المقوم اللغوي: والذي يقتضيه السياق قبلها
وبعدها أن تكون (الإسلاميين).
- (4) النقيير هو النقرة (الثكنة) التي تكون في ظهر نواة التمر- والقصد هنا عدم ظلمهم
مهما قل: ولو كان بمقدار نقيير: إلا أن الأفصح أن يقول: (شرو نقيير) أو (نقييراً) من
غير باء. (المقوم اللغوي).

«سَلْطَنَةُ كِيُوكُ خَانَ»

ثُمَّ جَلَسَ عَلَى سَرِيرِ قَاآنَ ابْنِهِ كِيُوكُ خَانَ، وَكَانَ قَصِيرَ الْعُمُرِ، قَلِيلَ الْعَيْشِ وَالْأَمْرِ، وَاهْتَاَجَ بَيْنَ الْأَوْلَادِ الْجَنَاقَرِ خَانِيَّةِ أَجَلٍ⁽¹⁾ وَشُرُورٍ فِي طَلَبِ السَّرِيرِ وَ[8] سِيَّاسَةِ الْجُمُهورِ؛ وَكَانَ جَخْطَايُ أَيضاً قَدْ مَاتَ، وَبَقِيَّتْ أَبْنَاؤُهُ مِنْ جُمْلَةِ طُلَّابِ الْمَلِكِ حَتَّى إِنَّ كَثِيرًا مِنْ كِبَارِهِمْ وَخِيَارِهِمْ إِشْتَغَلُوا بِالْكِنْكَاشِ، فَاتَّحَدَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ السَّرِيرِ مَنْ اسْتَأْهَلَهُ بَاتُو خَانَ؛ وَتَوَجَّهَ وَسَوَّدَهُ هُوَ؛ لِيَا كَانَ أَكْبَرَهُمْ سِنًا وَأَكْثَرَهُمْ جُنْدًا وَأَثَرَاهُمْ وَفِرًا.

(1) أَجَلٌ عَلَيْهِمْ شَرًّا يَأْجَلُهُ وَيَأْجَلُهُ أَجَلًا: جِنَاهُ وَهَيْجُهُ.

«اِخْتِلَافُ الْمَفْعُولِ عَلَى السُّلْطَةِ وَجُلُوسِ مَنْكُوحَانَ»

وَكَانَ بَقِيَّ مِنْ أَوْلَادِ طُوْلِيَّ خَانَ: مَنْكَاخَانَ، وَهُوَ لَا كُوحَانَ، وَقَبْلَهُ،⁽¹⁾ وَبُوجِي،⁽²⁾ وَكَانَ بَاتُوحَانَ بَعِيدَ الْأَرْدُو مِنْهُمْ - وَالْأَرْدُو عِنْدَهُمُ الْمُعْسَكُرُ وَالْمَنْزِلُ - فَأَمَرَ الْقَوْمَ - مِنْ جُمَّلَتِهِمْ مَنْكَاخَانَ - بِأَنْ يَذْهَبَ إِلَى أَرْدُو بَاتُوحَانَ مَعَ فَرِييَانَ [؟] فِيهِ صُورٌ وَأَشْكَالٌ وَتَخَاطِيطٌ لِمَنْ هُمْ اسْتِعْدَادُ السَّرِيرِ وَصَلَاخُ الْقَائِنِيَّةِ وَضَبْطُ الْمُلْكِ.

فَذَهَبَ إِلَى حَضْرَةِ بَاتُوحَانَ وَأَقَامَ عِنْدَهُ بُرْهَةً مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى اطَّلَعَ بَاتُوعَلَى حَالِهِ جُمَّلَةً وَتَفْصِيلاً مِنْ حِدَّةِ ذَهْنِهِ وَحَصَافَةِ عَقْلِهِ، وَثَبَاتِهِ عِنْدَ الْمُهَيِّجَاتِ، وَاطْمِينَانِهِ عِنْدَ نُزُولِ إِحْدَى الْمُقْلِقَاتِ؛ وَفَرَطِ بَصِيرَةِ رَأْيِهِ وَدَهَائِهِ، وَتَفَرَّسَ فِيهِ الْارْتِقَاءَ إِلَى أَعْلَى مَكَانٍ مِنْ عِلَائِهِ.

فَأَمَرَهُ بِتَقْلِيدِ أَمْرِ الْمُلْكِ وَالْجُلُوسِ عَلَى سَرِيرِ الْقَائِنِيَّةِ وَالتَّصَدِّي لِتَرْتِيبِ أَحْوَالِ الدَّهْمَاءِ⁽³⁾ وَضَبْطِ مَصَالِحِ الْمَمْلَكَةِ مِنْ اسْتِجْلَابِ التَّوْفِيرَاتِ وَإِزَالَةِ الْغَمَاءِ. فَلَوَى عَنْ إِسَارَتِهِ رَأْسَهُ وَأَبَى إِلَّا أَنْ يَتْرَكَ ذَلِكَ الْأَمْرَ وَمِرَاسَهُ، فَاسْتَأْذَنَ الْخَانَ فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ، حَتَّى اتَّفَقَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنْ بَرَزَ بَاتُوحَانَ إِلَى

(1) كذا- على القاعده وفي الحقيقة يجب أن يكون المقصود قوبيلاي الذي أرسله منكوقان إلى فتح جنوب الصين.

(2) في تاريخ الفتي (3839/6) بعد بوجك أحد أولاد تولوي.

(3) الدهماء: عامة الناس وسوادهم. (المقوم اللغوي).

الخلا، إذ وافته منكاخان من فوريه، فأمره الخان بلزوم مكانه حتى يخرج، فمكث حتى برز، فإذا وصل إليه قعد له في شوكه - والشوك معرب جوك، (1) - وكان ذلك الفعل منهم أعلى أنواع الاختيام والاختشام [9] وكان صفة ذلك أن يضع إحدى ركبتيه إلى القدم منبسطاً على الأرض رافعاً الأخرى، واضعاً يديه معاً على ركبتيه المرفوعة.

وقال له: بوركمت في صيرورتك مالك السريير وسائس الأمور لتجتهور، وهو يأتي ذلك ويقول له: إنك وإن سؤدتني وملكتني وعظمت شأني ورفعت مكاني، غير أن طلاب هذا السريير وحطاب هذا الملك كثيرون، وكلهم أبسط مني باعاً، وأكثرهم أعواناً وأشباعاً - وكان هو نذو الهل، قليل المثال، هين الأمر - وإن ساصير بالتعرض للملك، طعنة للتوى واهلك، وهدفاً لسهام الخصام، وكريهة ليرماح الانتقام، واخان يأتي إلا تقينده ذلك الأمر، وزين له في ذلك الأمر الضبر.

فلم رأى أن لا يخلص عن ذلك الأمر قال له: أقبل على أن تعاهدني وتعاقبني على ترك الاعتراض على ما أمرت به من المصالح.

فأعده مناد، ووهب له سؤلة وما يهواه، وألبسه من خلع الملوك ما كان أعلاه وأسفاه.

(1) وفي نسخة تعزله وجه عند المعول. وقد شرح ذلك القزويني في مقدمة المجلد الأول من جهنكشي، ص 106، حاشية 2. وحول الضمام بين جوك مع باتو خان نظر شرح جهنكشي، ج 3، ص 21.

«مُنازَمةُ مُنكوخان مع المعارضين لسلطنته»

وَبَلَغَ ذَلِكَ مِنْ اخْتِبَائِهِ⁽¹⁾ بِسِرِّيرِ الْمَلِكِ الدِّينِ كَانُوا يَنْتَظِرُونَ أَنْ يَكُونَ
الْأَمْرُ لَهُمْ، فَتَنَكَّرُوا وَتَغَيَّرُوا وَأَخَذُوا يُعِدُّونَ مَكَائِدَهُمْ لِدَفْعِهِ، وَيَنْصَبُونَ
حَبَائِلَهُمْ لِمَنْعِهِ، وَهُوَ قَدْ أَحَسَّ بِذَلِكَ، وَكَانَتْ بَعْضُ زَوْجَاتِ جَنكِيَرِ
خَانَ فِي الْحَيْرَةِ مُتَعَزِّزَةً بِأَوْلَادِهَا وَأَقْرِبَائِهَا، وَهَمَّ جَمٌّ غَفِيرٌ لَا يُخْتَرَأُ
عَلَيْهِمْ، وَلَا يُطَاقُ إِيصَالُ الشَّرِّ إِلَيْهِمْ؛ ذَوْوُ مَنَعَةٍ وَغَنَاءٍ وَشَجَاعَةٍ وَبِلَاءٍ؛
يُهَابُ جَانِبُهُمْ، وَيُرْهَبُ شَدَاهُمْ؛⁽²⁾ وَكَانُوا رَاضِينَ بِكَوْنِهِ صَاحِبَ السَّرِيرِ
وَحَامِيِ الْحَوْزَةِ وَرَاعِيِ الْمَمْلَكَةِ، فَصَارَ إِلَيْهِمْ، وَنَزَلَ لَدَيْهِمْ وَاسْتَعَانَ
بِهِمْ وَاتَّخَذَهُمْ [10] جُنَّةَ الدَّفَاعِ وَشُتْرَةَ الْاِمْتِنَاعِ؛ وَأُرْسِلَ إِلَى مَنْ كَادَ
تَطِيرُ نَعْرُهُ⁽³⁾ الْاِمْتِنَاعِ فِي دِمَاغِهِ،⁽⁴⁾ وَدَبَّتْ وَسَاوِسُ التَّمَرُّدِ فِي صَدْرِهِ، مَنْ
يُدْعُوهُمْ إِلَيْهِ.

وَكَانَ أَشَدَّهُمْ بَطْشًا وَبَأْسًا وَأَعَزَّهُمْ جُنْدًا وَأَنَاسًا سِيرُمُونَ⁽⁵⁾ وَكَانُوا

(1) في الأصل: احتطاله.

إذاما احتبى فوق الأسترة وارتدى *** على كبرياء الملك نخوة سلطان

(2) من المحتمل: شدتهم.

(3) رجل نعر، الذي يغلي جوفه من الغيظ.

(4) في الأصل: دعاعه.

(5) جاء في أكثر من مطلب في هذا الكتاب «سيرمون». ودرجت المصادر على إيراد

«سيرامون» و«شيرامون» وهو كان من أحفاد أوكتاي والذي بعد موت أبيه اختاره

إِخْوَةٌ هُوَ وَخَوَاجَه أُغْلُ، وَنَاغُو،⁽¹⁾ وَكَانُوا أَحْفَادَ [أوكتاي] قَان، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ أَمْرُهُ، تَمَرَّدُوا وَتَنَكَّرُوا وَاسْتَخَفُّوا بِشَأْنِهِ وَقَالُوا: مَا هُوَ وَالْمَلِكُ؟ وَمِنْ أَيْنَ يَسْتَحِقُّهُ؟.

وَرَكِبَ سِيرْمُو [ن] فِي جُنْدِ جَرَارٍ يَأْتِيهِ، وَغَرَ⁽²⁾ الصَّدْرَ مَمْلُوءً مِنَ الْغَيْظِ وَالْغَضَبِ عَلَيْهِ؛ وَكَانَ فَتَى السَّنِّ، رَيْقَ الشَّبَابِ، مَغْرُورًا بِشَبَابِهِ وَأَصْحَابِهِ فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ مُنْكَاخَانَ حَتَّى هَابَ جَانِبُهُ وَأَشْفَقَ مِنْهُ وَكَانَ بَعْضُ مُقَرَّبِيهِ قَالَ لَهُ: لَا تَهَبْهُ، فَإِنِّي كَافِيكَه بِأَهْوَنِ سَعْيٍ وَدَافِعُهُ بِأَسْهَلِ أَمْرٍ، هَيَّءْ لِي مِائَةَ مِنْ أَهْلِ الْغَنَاءِ وَالْفُرْسَانَ الْبَاسِلِينَ حَتَّى آتِيكَ بِهِ مَغْلُولًا مَأْسُورًا.

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ مِنْهُ سَكَنَ جَأْشُهُ وَزَالَ اسْتِيحَاشُهُ، وَهَيَّأَ لَهُ الْفُرْسَانَ الشَّاكِي السَّلَاحِ، وَخَرَجُوا وَلَمْ يُعْلَمَ بِأَمْرِهِمْ.

وَكَانَ سِيرْمُونُ يَأْتِي مُتَّجِعًا مُتَّصِدًّا، لَا يُبَالِي بِأَحَدٍ، وَلَا يَتَحَدَّرُ لِشَيْءٍ، حَتَّى كَانَ يَضْرِبُ بِخُرْكَاهَاتِهِ عَلَى أَطْرَافِ الْعَسْكَرِ وَنَوَاحِيهِ.

وَكَانَ صَاحِبُ الْفُرْسَانَ الْهَائَةِ يَعْلَمُ مِنْهُ أَمْرَهُ وَيَعْرِفُ شَأْنَهُ وَسِيرَتَهُ، فَاتَاهُ فَجَاءَةً وَهُوَ فِي خُرْكَاهِهِ، رَخِيَّ الْبَالِ مَعَ شِرْذِمَةٍ قَلِيلِينَ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ بِأَصْحَابِهِ الْهَائَةِ وَقَالَ: أَجِبْ مُنْكَاخَانَ فَإِنَّهُ يَدْعُوكَ، فَاْمْتَنِعْ عَلَيْهِ وَاسْتَعْصَى، فَاطَّالُوا إِلَيْهِ الْيَدَ كَالْبَاشِقِ الْمُنْقِضِ عَلَى صَيْدِهِ، وَقَبْضُوهُ وَوَضَعُوا عَلَيْهِ قَيْدَ الْإِسَارِ وَسَاقُوا بِدَوَابِّهِمْ سَوْقًا [11] عَنِيفًا أَبْعَدُوهُ عَنْ

أوكتاي لولاية العهد.

(1) في جهانكشاي، ج 3، ص 27 «أبناؤه خواجه وناقو» لكن لم تأت كلمة «اغل».

(2) الوغر: شدة تسعر الحقد في الصدر.

مَنْزِلِهِ بِمَنْزِلٍ، حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَ جُنْدُهُ وَجَيْلُهُ، تَصَعَّبَتْ إِلَيْهِ سَبِيلُهُ وَهَاقَ عَلَيْهِ نِطَاقُ التَّلَاقِي؛ وَالْقَوْمُ أَتَوْا بِهِ مُنْكَاحَانَ صَيْدًا مُقْبِدًا وَأَسَدًا مُعْبِدًا.

ثُمَّ بَعْدُ، أَخَذَ يُرْسِلُ جَيْلًا بَعْدَ جَيْلٍ،⁽¹⁾ يَقْبِضُ عَلَى كِبَارِ جُنْدِ سِيرْمُونٍ وَسَرَاتِهِ وَذَوَائِبِهِ⁽²⁾ وَوُجُوهِهِ وَإِخْوَتِهِ وَجَمِيعَ مَنْ تَقَرَّبَ بِهِ، إِلَى أَنْ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا عَجْزَةٌ ضَعْفَةٌ لَا دِفَاعَ لَهُمْ وَلَا امْتِنَاعَ. فَاسْتَضَلَّ بِذَلِكَ حَالَهُ وَرَيْسَ بِالْمَلِكِ وَالْحُكْمَ نِبَالَهُ؛ وَتَمَّ أَمْرُهُ وَعَظُمَ شَأْنُهُ، وَعَلَا مَكَانُهُ؛ وَأَصْحَرَتْ قِبَابُهُ،⁽³⁾ وَاسْتَظْهَرَتْ جُنُودُهُ وَأَصْحَابُهُ؛ حَتَّى أَقَامَ يَرْغُوَ الْمَأْخُودِينَ، وَالْيَرْغُوُّ هُوَ الْقَضَاءُ وَالْحُكُومَةُ عِنْدَهُمْ.

وَسَأَلَ سِيرْمُونٌ عَنْ تَمَرُّدِهِ وَاسْتِعْصَابِهِ. فَقَالَ: كُنْتُ أَمْتِئِلُ لِأَمْرِكَ وَأَنْقَادُ لَكَ، غَيْرَ أَنَّ الْجُنْدَ مَنَعَنِي مِنْ ذَلِكَ، وَأَنَا كَمَا تَرَى جَدِيدُ سِرْبَالِ الْحَدَاثَةِ، إِغْتَرَزْتُ بِهِمْ، وَإِلَّا فَأَنَا بَرِيءُ السَّاحَةِ عَنْ عِصْيَانِكَ.

فَلَمَّا سَمِعَ مِنْهُ كَلَامَهُ، قَالَ: لَأَشْكُ أَنْ هَذَا حَدَثٌ مَأْمُورٌ،⁽⁴⁾ فَأَخَّرَ أَمْرَهُ، وَأَمَرَ بِحِفْظِهِ فِي الْقَدِّ.

وَسَأَلَ أَحَاهُ خَوَاجَهُ أُغْلَ عَنْ عِصْيَانِهِ وَطُغْيَانِهِ وَتَأَخُّرِهِ وَتَرْكِ طَاعَتِهِ وَالِاسْتِخْفَافِ بِيَأْسَاتِهِ، فَتَعَلَّقَ مِنَ الْأَعْدَارِ بِمِثْلِ مَا تَعَلَّقَ بِهِ أَخُوهُ مِنْ كَوْنِهِ مَحْمُولًا مَأْمُورًا حَتَّى قَالَ أَحَدٌ مِنْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمُ الْحَانَ: إِنَّهُ كَانَ

(1) الجيل: كل صنف من الناس. (المقوم اللغوي).

(2) فلان ذؤابة قومه: شريفهم والمقدم فيهم. (المقوم اللغوي).

(3) أصحح المكان: اتسع. (المقوم اللغوي).

(4) كذا..

مُتَمَرِّدًا عَاصِيًا خَارِجًا عَلَيكَ، طَارِحًا لِأَمْرِكَ؛ غَيْرَ أَنَّ خَاتُونَةَ فُلَانَةَ مَنَعَتْهُ
عَنْ ذَلِكَ، وَأَمْسَكَتْهُ بَعْضَ الْإِمْسَاكِ.

فَتَلَيَّنَ أَمْرُهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَوَهَبَهُ لِخَاتُونَةَ، وَخَلَّى سَبِيلَهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ
[12] مُشْتَغَلًا بِشَأْنِهِ غَيْرَ مُتَجَاوِزٍ عَنْ حَدِّهِ.

وَأَمَرَ بِقَتْلِ مَنْ كَانَ مَادَّةً لِلْفِتْنَةِ، وَمُهَيِّجًا لِلشُّرُورِ وَذَوِي الْعَيْثِ
الْفِتَائِنِ،⁽¹⁾ حَتَّى أَكْثَرَ مِنْ قَتْلِهِمْ، وَلَمْ يُبْقِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْ نَسْلِهِمْ؛ إِلَى أَنْ حَمَلَهُ
الْفِكْرُ فِي الْعَوَاقِبِ وَالنَّظَرِ فِي مَصَائِرِ الْأُمُورِ عَلَى قَتْلِ سَيْرُمُونَ، وَأَخِيهِ
خَوَاجَه أَغْلُ، فَاسْتَقَرَّ إِلَيْهِ الْمُلْكُ وَاسْتَبَّتْ الْأُمْرُ وَأُذْعِنَ لَهُ الْمُتَمَرِّدُونَ،
وَانْقَادَ لَهُ الْغَاغَةُ الْمُسْتَعْصُونَ؛ وَلَا يَزَالُ كَانَ يَقْتُلُ مَنْ كَانَ يَظُنُّ بِهِ شَرًّا،
وَيُحْسُ مِنْهُ ضَرًّا؛ حَتَّى اخْتَرَمَ نَوَاجِمَ الْفِتَنِ،⁽²⁾ وَاسْتَأْصَلَ عُرُوقَ الْمَضَارِّ
وَالْمِحَنِ.

ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا تَهَيَّأَتْ لَهُ أَسْبَابُ الْمَمْلَكَةِ وَوَصَلَ إِلَى الصَّلَاحِ وَالنَّجَاحِ
شَأْنُهُ، وَاسْتَمَرَ مَرَاثِرُ تَمَكُّنِهِ وَاسْتِيْلَائِهِ، وَمَطَرَتْ عَلَيْهِ مِنْ إِقْبَالِ الدَّهْرِ
شَائِبُ أَنْوَائِهِ،⁽³⁾ شَاوَرَ بَعْضَ مُقَرَّبِيهِ وَأَمَنَائِهِ فِي كَيْفِيَّةِ ضَبْطِ الْأُمُورِ
وَتَوْظِيفِ الْمُعَامَلَاتِ وَتَوْفِيرِ الْوَلَايَاتِ.

(1) العيث في الأرض: الإفساد والإتلاف. (المقوم اللغوي).

(2) الاخترام: الشق. اخترم نواجم الفتن: شق مطالعها وقضى على مصادرها. (المقوم اللغوي).

(3) الشؤبوبُ الدفعة من المطر. والشدة من كل شيء. (المقوم اللغوي).

«هُجُومُ هُولَاكُو عَلَى بِلَادِ إِيْرَانِ وَقِلَاعِ الإِسْمَاعِيْلِيَّةِ»

وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنَّ مَنْ جَلَسَ عَلَى سَرِيرِ الْقَائِنِيَّةِ رَكِبَ بِنَفْسِهِ مَعَ الْجَيْشِ إِلَى بَعْضِ بُلْدَانِ الْأَعَادِي، وَاسْتِخْلَاصِهَا⁽¹⁾ وَافْتِتَاحِهَا، فَكَانَ يَتَهَيَّأُ لِلرُّكُوبِ إِلَى ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ الْمُقَرَّبُ - وَكَانَ دَاهِيًا -: إِنَّكُمْ لِأَرْبَعَةَ إِخْوَةٍ، فَلْيَتَوَجَّهْ أَحَدُ إِخْوَتِكَ بِجُنُودِهِ إِلَى جَانِبِ شَاهِرًا سَيْفُهُ، مُسْتِخْلِصًا لِلْبِلَادِ، وَمُسْتَأْصِلًا عُرُوقَ ذَوِي الْعَيْثِ وَالْفَسَادِ؛ وَاطْمَئِنَّ أَنْتَ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ رَفِيَةً الْحَالِ، خَلِيَّ الْبَالِ؛ فَارْغِ الْقَلْبَ، سَاكِنَ الصَّدْرِ وَالْجَانِبِ.

فَاسْتَجَادَ مَا أَشَارَ بِهِ الرَّجُلُ، وَطَابَ عِنْدَهُ ذَلِكَ الْكَلَامُ الْمُرْتَجَلُ؛ فَبَعَثَ أَحَدَ أَمْرَائِهِ مُقَدِّمَةَ لَيْشِ أَخْوَيْنِ إِلَى جَانِبِ الْمَغْرِبِ، اسْمُ ذَلِكَ الْأَمِيرِ كُتْ بُوْقَاءَ،⁽²⁾ وَكَانَ ذَا رَأْيٍ [13] وَدَهَاءٍ، أَمَرَهُ بِلُزُومِ قِلَاعِ الإِسْمَاعِيْلِيَّةِ وَافْتِتَاحِهَا وَقَلْعِ أُرُومَتِهَا⁽³⁾ وَاسْتِئْصَالِهَا. حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَى مَوَاضِعِ قِلَاعِهِمْ اسْتَحْشَدَ وَاسْتَجَاشَ⁽⁴⁾ عَنِ الْبِلَادِ، حَتَّى جَمَعَ أَجْنَادًا كَثِيرِينَ،

(1) في الأصل: واستخلاصها.

(2) كان كتبوقا يشقر أول قادة هولاکو والذي بدأ بشن الحملة على قلاع الإسماعيلية في جنوب خراسان. وقد فصلنا ذلك في المقدمة.

(3) أرومة كل شيء أصله، وأرومة الشجرة ما بقي منها بعد قطعها. (المقوم اللغوي).

(4) استجاش: بمعنى طلب الجند.

وَأَمَرَ حَوْلَ كُلِّ قَلْعَةٍ بِحِصَارٍ وَخَنْدَقٍ، وَبَنَى الْبُيُوتَ ⁽¹⁾ مُتَّصِلَةً بِالْحِصَارِ،
وَوَكَّلَ عَلَيْهَا مِنَ الْجُنْدِ بِقَدْرِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْمَكَانُ لِلِاسْتِدْفَاعِ،
وَكَذَا صَنَعَ هَذَا الصَّنِيعَ بِجَمِيعِ قِلَاعِهِمْ مِنْ أَقْصَى خُرَاسَانَ إِلَى آخِرِ
مَازَنْدِرَانَ، وَجَعَلَ بِتِلْكَ الْمَلَا حِدَةِ الْغَادِرِينَ حَتَّى افْتَتَحَ جَمِيعَ الْقِلَاعِ
وَالصِّيَاصِي ⁽²⁾ إِلَّا جَرْدَكُوهَ، وَالتُّونَ، وَالْقَائِنَ، وَالْمُوتَ، لَكِنْ لَمْ يُخْلِهَا عَنْ
الْمُحَاصِرَةِ وَالْمُحَارَبَةِ وَالضَّرْبِ بِالْمَجَانِيْقِ وَالرَّمِيِّ بِالنِّيرَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. ⁽³⁾

ثُمَّ أَمَرَ مِنْكَاحَانَ أَخَاهُ هُوَ لَا كُوخَانَ بِالرُّكُوبِ إِلَى جَانِبِ الْمَغْرِبِ فِي
جِيُوشٍ لَا يُحْصِيهَا إِلَّا مَنْ أَحْصَى رَمَلَ عَالِجٍ، ⁽⁴⁾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ خُرَاسَانَ مَرَّ
بِالتُّونِ وَقَائِنَ فَافْتَتَحَهَا بِزُخْفَةٍ مِنْ جُنْدِهِ إِلَيْهَا، وَخَرَّبَهَا وَسَبَى مِنْهَا عَقَائِلَ

(1) في الأصل: البيوق. وانظر حول كيفية إجراءات حفر الخندق على أطراف القلاع وبناء الحصون والتحصن داخل القلعة لجيوش هموار: جامع التواريخ (تاريخ مغول)، ج 2، ص 690.

(2) الصياصي: الحصون والقصور. وأصل الصياصي قرون البقر، لأنها تمتنع بها كالقصور التي يمتنع بها أصحابها. (المقوم اللغوي).

(3) جاء في تاريخ طبرستان ورويان و مازندران ص 32 - 33: ولم يمض من أيام حكومة استندار المذكور خمس عشرة سنة حتى استقرت الملكية من «چنگيز خانيان» إلى «منكوقان» وانقادت إمارات الشرق والغرب إلى أوامره وأرسل «كت بوقانين» إلى خراسان من أجل الاستحواذ على قلاع الملاحدة، وهذا «كت بوقا» كان صاحب رأي وتدبير، فعندما كان يحاصر كل قلعة يقوم بحفر خندق وجحفلة الجيوش وتأمين المؤن للجيش ويضيق الخناق على خصومه، وبهذه الطريقة تدرجياً فتح كل قلاع الملاحدة سوى قلاع جردكوه والتون وقائن والموت الذي بقي عليها الحصار.

(4) رمل عالج: جبال متواصلة يتصل أعلاها بالدهناء. والدهناء بقرب ييامة، وأسفلها بنجد. (المقوم اللغوي).

وَبُدْنَآ^(١) وَأَمْوَالًا وَافِرَةً، وَغَنَائِمَ، حَتَّى مَلَأَ خُرَاسَانَ بِسِبْيِ الْمَلَاحِدَةِ
وَبَرَادِجِهَا.^(٢)

ثُمَّ مَضَى مِنْهَا حَتَّى بَلَغَ جَرْدُكُوهَ وَرَأَى مَنَعَتَهَا وَحَصَانَتَهَا، وَأَنَّ
أَصْلَهَا ثَابِتٌ وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ، وَأَنَّ بِالزَّخْفَاتِ لَا تُسْتَخْلَصُ وَلَا تَنْفَتِحُ،
خَلَى عَنْهَا بِجَيْشِهِ وَأَمَرَ بِمُحَاصَرَتِهَا عَلَى مَا كَانَتْ تُحَاصِرُ، وَمَضَى بِقَلْعَةِ
الْمُوتِ،^(٣) وَنَزَلَ فِي حَضِيضِهَا بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ، قَضَاءً بِقَضِيضِهَا.^(٤)

(١) العقائل: كل ما يعتقل من الدواب ويربط بعقال. والبدن: إناث الجمال. (المقوم اللغوي).

(٢) برادج تعريب كلمة «بردة» الفارسية، وهنا بمعنى الأسير.

(٣) الصحيح أن يقول: ومضى إلى قلعة الموت (المقوم اللغوي).

(٤) جاؤوا بقضهم وقضيضهم: جاؤوا جميعاً بكبارهم وصغارهم.

«خورشاه الإسماعيلي، نصير الدين الطوسي والمغول»

وَكَانَ التَّالِكُ لِأَمْرِ الْمَلَا حِدَةَ إِذْ ذَاكَ أَحَدَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الْكَبِيَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ الَّذِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ الْقَائِمَ بِأَمْرِ اللَّهِ [14] وَكَانَ عَلَى مَا سَمِعْنَا قَدْ قَتَلَهُ أَحَدُ بَنِيهِ عَمَّا قَرِيبٍ، وَجَلَسَ مَكَانَهُ ابْنُهُ خُورْشَاهُ.

وَكَانَ وَزِيرُهُ نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِيُّ، نَحْرِيْرُ الدُّهُورِ⁽¹⁾ وَنَادِرَةُ الْعُصُورِ؛ فَتَشَاوَرَ خُورْشَاهُ وَنَصِيرُ الدِّينِ، وَكَانَ خُورْشَاهُ شَابًا لَمْ يَضْرَسْ⁽²⁾ الْأُمُورَ وَلَمْ يَعْهَدْ الْمِحْنَ وَالشُّرُورَ، وَ[كَانَ] نَصِيرُ الدِّينِ شَيْخًا أَكَلَ الدُّهُورَ، وَكَانَ مَحْبُوسًا مِنْ جِهَتِهِمْ مِنْذُ سِنِينَ⁽³⁾ فِي الْمَوْتِ، حَتَّى قِيلَ إِنَّ قَلْبَهُ كَانَ مَايَلًا إِلَى إِفْسَادِ أَمْرِهِمْ وَنَكْثِ شُرُورِهِمْ.

فَلَمَّا⁽⁴⁾ رَأَى هُوَ لَا كُوْ قَدْ اخْتَفَّ بِهَا، قَالَ لِحُورْشَاهِ مِنْ طَرِيقِ عِلْمِ النُّجُومِ فِي الظَّاهِرِ: إِنَّ صَلَاحَكَ وَصَلَاحَ أَهْلِكَ وَبِلَادِكَ النَّزُولُ عَنْ هَذِهِ

(1) النحرير: الحاذق الفطن العاقل. (المقوم اللغوي).

(2) يجتمل: يمرس. إضافة: بل اللفظ صحيح وفي محله. ومعناه: لم يجرب الأمور. جاء في لسان العرب: ضرسهم الزمان اشتد عليهم، وأضرسه أمر كذا أفلقه، وضرسته الحروب تضريساً أي جربته وأحكمته، والرجل مضرس أي قد جرب الأمور، وضارست الأمور جربتها وعرفتها. (المقوم اللغوي).

(3) الصحيح أن يقول: منذ سنين. لأن «مد» تسبق الفعل لا الاسم أما «منذ» فتسبق الاسم. (المقوم اللغوي).

(4) في الأصل: فإذا.

القِلَاعِ، وَالهَبُوطُ عَنْ هَذِهِ التَّلَاعِ، فَإِنَّا لَا يَدَ لَنَا مَعَ هَؤُلَاءِ فِي الامْتِنَاعِ
وَالدَّفَاعِ.

فَقَاوَمُوا يَوْمًا وَاحِدًا زَحْفَةَ الْجَيْشِ إِلَى الْقَلْعَةِ، ثُمَّ أَرْسَلُوا إِلَى
هُوَلَاكُو غَدًا بِالنُّزُولِ عَلَى حُكْمِهِ وَالِامْتِنَالِ لِأَمْرِهِ، فَنَزَلُوا؛ وَمَا عَقَدَهُ
الْأَبَاءُ الْحُكَمَاءُ فِي سِنِينَ قَدْ حَلُّوا، وَعَنْ مَرَكِبِ الْمَلِكِ وَالْعِزَّةِ قَدْ ارْتَجَلُوا،
وَإِنْ كَانُوا ظَانِّينَ أَنَّ [بَعْدَ] عَزَلِ الْعَهْدِ⁽¹⁾ وَالْحَلْفِ مَعَ هَؤُلَاءِ الْأَمْعَلَةِ⁽²⁾
قَدْ قَتَلُوا.

فَلَمَّا هَبَطُوا ضَيَّقَ عَلَيْهِمْ وَأَرْسَلَ إِلَى مُنْكَاخَانَ خُورْشَاهُ، ثُمَّ فِي طَرِيقِهِ
قُتِلَ،⁽³⁾ ثُمَّ قَبِضُوا عَلَى حَرَمِهِ وَحُرْمِهِ وَأَوْلَادِهِ وَأَحْفَادِهِ، وَأَمْوَالِهِ وَغَنَائِمِهِ
الْمَذْخُورَةَ عَلَى أَيْدِي الْكَسَائِبِينَ مُذْ سِنِينَ،⁽⁴⁾ وَقُتِلُوا [عَنْ] آخِرِهِمْ قِتْلَةً
سَيِّئَةً. وَأَمْرَهُ هُولاكُو شُبَّانَ جُنْدِهِ بِمَوَاقِعَةِ بَنَاتِ الْكِيَاءِ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ [وَ]
جَوَارِيهِ عَلَى الْمَلَأِ الْحَاضِرِينَ، وَكَانَ أَحَدُ بَنِيهِ حَاضِرًا، وَكَانَ إِذَا أَعْرَضَ
بِوَجْهِهِ عَنْ مُشَاهَدَةِ تِلْكَ الْحَالَةِ الْمُسْتَشْنَعَةِ وَالْحَادِثَةِ الْمُسْتَفْظَعَةِ أَمْرًا بَلَكْزِهِ
فِي قَفَائِهِ⁽⁵⁾ لِيَتَوَجَّهَ إِلَى صَوْبِ تِلْكَ الْفَعْلَةِ [15] وَيُشَاهِدَهَا وَيَنْظُرَ إِلَيْهَا.

(1) يحتمل بهذا الشكل: وإن كانوا ظانين أن [بعد] عقد العهد.

(2) المَعْلُ وجع البطن من تراب. (المقوم اللغوي).

(3) في الأصل: قتلوا.

(4) الصحيح أن يقول: منذ سنين. لأن «مذ» تسبق الفعل لا الاسم أما «منذ» فتسبق
الاسم. (المقوم اللغوي).

(5) الضَرْبُ بالأيدي. إضافة المقوم اللغوي: (اللكز: نوع من أنواع الضرب وهو
الضرب باليد الواحدة مجموعة الأصابع على الحنك؛ والتحز: النخس والضرب
بها من أعلى؛ واللقز: الضرب بها مجموعة الأصابع على العنق، والوكز: الضرب
بها مجموعة الأصابع على الصدر، والقحز: الضرب بالعصا، واللبز: الضرب باليد

وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ وَخَذْلَانِ الْخَائِمَةِ. وَأَمَرَ بِتَخْرِيبِ الْمَوْتِ
وَهَدْمِهَا.

وَاسْتَخْلَصَ الْإِمَامُ نَصِيرُ الدِّينِ لِنَفْسِهِ بِوُفُورِ عِلْمِهِ وَلَا سِيَّامًا فِي عِلْمِ
الْحِكْمَةِ وَهَيْئَةِ النُّجُومِ وَالْحَقَائِقِ الْأَقْلِيدِيَسِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْعُلُومِ.

وَهُوَ لَا كُو هَذَا كَانَ رَجُلًا عَظِيمَ الْبَطْشِ، عَضُوبَ النَّفْسِ،⁽¹⁾ سَرِيعَ
الْقَتْلِ، ذَا مَهَابَةٍ، وَكَانَ أَهْوَنُ تَأْدِيبِهِ إِعْمَالُ السَّيْفِ، وَمُقَدَّمَةٌ غَضَبِهِ إِرَاقَةُ
الدَّمِّ، وَكَانَ ذَا صُمَّةٍ⁽²⁾ عَلِيَّةٍ، وَسَخَاوَةٍ جَلِيَّةٍ، مَحِبًّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ مُقَرَّبًا لَهُمْ،
مُسْتَقِيمَ الطَّلَعِ، مُقْبِلًا فِي الْأُمُورِ.

ثُمَّ رَجَعَ مِنْهَا بِأَمْوَالٍ جَمَّةٍ لَمْ يَلَمْ، لَا يُحْصِي الْمُحْصُونَ حَضْرَهَا، وَلَا يَسَعُ
أَقْلَامَ الْحَسْبَةِ عَدُّهَا؛ وَأَمَرَ بِهَا إِلَى حَضْرَةِ أَخِيهِ مُنْكَاخَانَ، «وَكَمْ قَصَمْنَا
مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ».⁽³⁾

مجموعة الأصابع على الظهر).

(1) غضب الرجل فلاناً عن حاجته: رده ومنعه. وهو هنا إشارة إلى عدم إطاعته لهوى
نفسه. (المقوم اللغوي).

(2) الصُّمَّة: السُّدَادَةُ.

(3) سورة الأنبياء الآية (11).

«تَوَجَّهَ هُوَ إِلَى بَغْدَادَ بَعْدَ أَخْذِ قِلَاعِ الْمَلَا حِدَةَ»⁽¹⁾

ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا فَرَغَ مِنْ تَهْدِيمِ صِيَاصِيهِمْ وَقِلَاعِهِمْ، وَتَقْوِينِ أَرْكَانِهِمْ وَتَحْرِيبِ بُيُنَانِهِمْ، وَقَتْلِ شِيْبِهِمْ وَشُبَّانِهِمْ، رَتَّبَ جَيْشَهُ مُتَوَجِّحاً إِلَى بَغْدَادَ مُسْتَوْفِزاً⁽²⁾ مُسْتَعِجِلاً.

وَكَانَ مِنْ أَمْرِ بَغْدَادَ أَنَّ خُلَفَاءَهَا الْعَبَّاسِيَّةَ لَمْ يَكُونُوا يَخْتَفِلُونَ بِمُلُوكِ الْمَغُولِ⁽³⁾ فِي مَبْدَأِ أَمْرِهِمْ وَلَا يَعْتَدُونَ بِهِمْ، وَمَعَ ذَلِكَ صَارُوا يُوَافِقُونَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةَ، وَيُحَابُونَهُمْ، وَيُوَادُّونَ مُتَشِيْعِيهِمْ، وَيَسْتَعِينُونَهُمْ فِي الْأُمُورِ، وَيَسْتَمِدُّونَ بِفِدَائِيَّتِهِمْ؛ وَمُلُوكُ الْمَغُولِ كَانُوا يَتَسَامَعُونَ بِذَلِكَ، لَكِنَّهُمْ يَسَامِحُونَهُمْ وَيَسَاهِلُونَهُمْ وَيَسْتَدْرِجُونَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ، وَهُمْ لَا يَزِدَادُونَ إِلَّا تَغَافِلاً وَتَجَاهُلاً.

وَمَعَ ذَلِكَ كَانُوا إِذَا وَصَلَ بَغْدَادَ تِجَارُ بِلَادِ الْمَغُولِ تَحَسَّسُوا مِنْ حَالِهِمْ، فَإِنْ عَلِمُوا أَنَّهُمْ مِنْ جِهَةِ الْمَغُولِ، أَدْخَلُوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَكَانَ رُسُلُ⁽⁴⁾ الْمَغُولِ إِذَا وَصَلُوهَا يَجْبِسُونَهُمْ فِي الْبُيُوتِ، وَيُضَيِّقُونَ عَلَيْهِمْ فِي الْمَأْكَلِ

(1) ورد العنوان في الهامش.

(2) وفز: عجل. (المقوم اللغوي).

(3) في هاتين الصفحتين ورد «المغال» وغيرناه ب: المغول. إضافة المقوم اللغوي: احتفل بالأمر واحتفى به: اهتم به.

(4) في الأصل: أرسل.

وَالْمَشْرَبِ وَيَخْتَفِرُونَهُمْ اخْتِقَارًا وَيَسْتَخِفُّونَ بِهِمْ اسْتِخْفَافًا حَتَّى تَوَجَّهَ
 [16] إِلَيْهَا ذَاتَ سَنَةٍ جَيْلٌ مِنَ الْمَغَالِ الشَّرْمَاغُونِيَّةِ - وَكَانَ شُرْمَاغُونُ⁽¹⁾
 مِنْ كِبَارِ أَمْرَاءِ جَيْشِهِمْ - الْمُوَكَّلِينَ عَلَى سَوَادِ الْعِرَاقِ، الضَّابِطِينَ هَا
 بِمِقْدَارِ ثَلَاثِينَ أَلْفِ فَارِسٍ، وَنَزَلُوا بِبَابِ بَغْدَادَ حَتَّى إِذَا خَرَجَ جَيْشُ
 بَغْدَادَ نَاوَشُوا الْحَرْبَ، وَظَلُّوا يَوْمَهُمْ، فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ،⁽²⁾ رَكَلَ
 جَيْشُ الْمَغُولِ الْأَرْضَ بِسَاقِهِمْ وَانْهَزَمُوا أَوْ تَهَزَّمُوا بِاتِّفَاقِهِمْ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ
 كَانَ تَجْرِبَةً مِنْهُمْ لِأَهْلِ بَغْدَادَ وَامْتِحَانًا لَهُمْ، وَعَجْمًا لِعُودِهِمْ.⁽³⁾

ثُمَّ أَمْهَلُوا سِنِينَ إِلَى أَنْ بَلَغَ هُوَلَاكُو وَتَوَجَّهَ بِجَيْشِهِ إِلَيْهَا وَالْخَلِيفَةُ
 الْمُسْتَعْصِمُ بِاللَّهِ كَانَ يُرَى أَنْ لَا مُبَالَاةَ لَهُ بِهِمْ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ يُؤَدِّي إِلَى مُلُوكِ
 الْمَغُولِ كُلِّ يَوْمِ أَلْفَ دِينَارٍ خَلِيفِيَّةٍ، وَتَمَكَّتْ غَيْرَ مَهْيَةٍ لَجَيْشٍ يُقَابِلُهُمْ
 أَوْ يُقَاتِلُهُمْ، كَالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ فِي وَجَارِهَا⁽⁴⁾ وَالْمَرْصِدُ هَا

(1) عهدت إلى شرماغون في السنين من 626 إلى 639 قيادة الجيش المغولي في نواحي
 إيران، ونتيجة لقصوره عزل عن منصبه وحل مكانه بايجونويان لكن شرماغون
 أعاد الحملة على بغداد، وكان في كل مرة يسكب، واستمر المؤلف في الإشارة إلى
 ذلك.

(2) في الأصل: عليه. سورة الأنعام الآية (76) فلما جنّ عليه الليل. النص مقتبس
 من هذه الآية، لكن بحسب السياق فقد تحوّلت عليه إلى عليهم.

(3) ورد: حياة الحيوان [الدميري، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424] (1/246)
 فعجم عيدانها عوداً عوداً: أي مضغها لينظر إليها أيها أصلب. يقال: عجمت العود
 إذا مضغته وعضضته.

(4) وجار (به فتح و كسر «و») هذا التعبير جاء في الخطبة السادسة من نهج البلاغة.
 إضافة المقوم اللغوي: (اللدم) صوت الحجر أو الشيء يقع على الأرض وليس
 بالصوت الشديد - وفي الحديث: «وَاللَّهِ لَا أَكُونُ مِثْلَ الضَّبُعِ تَسْمَعُ اللَّدْمَ حَتَّى
 تَخْرُجَ فِتْصَادًا».

قَدْ وَصَلَ بِيَابِ دَارِهَا وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَأَنَّ لِلْسَّلْمِ وَلَا لِلْحَرْبِ، حَتَّى خَيَّمَ
هُوَ لَا كُوخَانَ بِيَابِ بَغْدَادَ، وَاخْتَفُوا بِهَا إِحَاطَةَ الْمُقَلَّةِ بِإِنْسَانِهَا⁽¹⁾ وَالْدَائِرَةَ
بِنُقْطَتِهَا، بَعْدَ أَنْ أُوقِدُوا نِيرَانَ الْإِغَارَةِ وَالْقَتْلِ عَلَى مَا حَوْهَا مِنَ الْقَرَى
وَالْأَمَاكِنِ الْمَعْمُورَةِ، وَسَبَّوْا أَهْلَهَا وَقُطَّانَهَا⁽²⁾ حَتَّى فَرَّ إِلَى بَغْدَادَ مَنْ
انْفَلَتَ مِنْ سَيْفِهِمْ أَوْ تَخَلَّصَ مِنْ خَيْفِهِمْ⁽³⁾، اعْتِمَادًا مِنْهُمْ عَلَى أَنَّ الْخَلِيفَةَ

(1) المقلة: العين، وإنسانها: المثال الذي يُرى في السواد، وجمعه (أناسي) ومنه قول
محمد بن أحمد علي الأبراري المعروف بشمس الدين الكوفي في رثاء بغداد:

إن لم تقرح أدمعي أجفاني *** من بعد بعدكم فما أجفاني
إنسان عيني مذ تناءت داركم *** ما راقه نظر إلى إنسان
مالي وللأيام شئت صرفها *** حالي وخلاني بلا خلان
ما للمنازل أصبحت لا أهلها *** أهلي ولا جيرانها جبراني
وحياتكم ما حلها من بعدكم *** غير البلى والهدم والنيران
ولقد قصدت الدار بعد رحيلكم *** ووقفت فيها وقفة الحيران
وسألتها لكن بغير تكلم *** فتكلمت لكن بغير لسان

إلى أن يقول:

ما لي أنيس بعدكم غير البكا *** والتوح والحسرات والأحزان
ياليت شعري أين سارت عيسكم *** أم أين موطنكم من البلدان

وتقع القصيدة في سبعة وعشرين بيتاً.

(2) القاطنين فيها. (المقوم اللغوي).

(3) (الخيف) ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء. وفرس (أخيف) بين
(الخيف) إذا كانت إحدى عينيه زرقاء والأخرى سوداء، وكذلك هو من كل شيء.
ومنه قيل: الناس (أخيف) أي مختلفون. وإخوة أخيف إذا كانت أمهم واحدة والآباء
شتى. يريد أن يصف قوة هجومهم بالماء إذا اندفع، مع تنوعهم. (المقوم اللغوي).

يَقُومُ بِدِفَاعِهِمْ وَيَجِبُهُمْ أَشَدَّ جَبْهَةٍ،⁽¹⁾ وَهُوَ يَتَنَاوَمُ؛ حَتَّى إِذَا انْتَبَهَ مِنْ رَقْدَتِهِ وَتَيَقَّظَ مِنْ سَكْرَتِهِ، كَانَ الْمَجَالُ قَدْ ضَاقَ، وَالْعَدُوُّ أَخَذَ بِكَفْلِهِ وَمَسَاغَ رَيْقِهِ، وَقَبْضَ عَلَى مُتَنَفِّسِهِ، وَاتَّسَعَ الْحَرُوقُ عَلَى الرَّاقِعِ، وَبَلَغَ الْحِزَامُ الطُّبِينِ.⁽²⁾

فَأَمَرَ بِتَطْيِيقِ أَبْوَابِهَا وَتَعْلِيقِهَا، وَنَضَبِ الْمَجَانِيقِ وَالْعَرَّادَاتِ، فَلَمَّا زَحَفَ جَيْشُ الْمَغُولِ زَحْفَةً أَوْقَعُوا فِي الْأَرْضِ رَجْفَةً [17] وَرَدُّوا عَنْ رُؤُوسِ الْحِصَارِ كَثِيرًا مِنْ رِجَالِهَا بِالنَّبَالِ، وَأَذَاقُوهُمْ سُومَ النَّصَالِ، وَأَضْلَوْهُمْ سَعِيرَ الْقِتَالِ؛ أَنْهِيَ إِلَيْهِ أَنَّ الْأَمْرَ أَمْرَ وَالشَّرَّ شَمْرًا،⁽³⁾ وَحَسُّوا السَّلَامَةَ ضُرًّا، وَفَطَنَ⁽⁴⁾ بِتَضْيِيعِهِ أَمْرَهُ وَأَنَّ رَحَاءَ الْعَيْشِ غَرَّةٌ.

وَكَانَ وَزِيرُهُ أَسَاءَهُ وَأَذَاهُ، وَأَمَالَ عَنْ نَفْسِهِ هَوَاهُ؛ فَكَانَ لِذَلِكَ ضَلْعُهُ مَعَ الْمَغُولِ،⁽⁵⁾ وَمَيْلُهُ إِلَيْهِمْ إِرَادَةً لِلانْتِقَامِ، وَجَزَاءً عَنْ مَسَاءَتِهِ⁽⁶⁾ مَعَهُ وَبِهِ، فَكَانَ قَدْ حَثَّهُمْ عَلَى بَغْدَادِ سِرًّا وَجَرَّهُمْ إِلَيْهَا جَرًّا، فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ

(1) في الأصل: جبة.

(2) «بلغ الحزام الطبين» تجري مثلاً، وتعني عندما تضيق الأمور ويصبح الإنسان تحت حوافر الخيل. انظر: مجمع الأمثال [الميداني، مشهد، 1366] ج 1، ص 44: بمعنى: تجاوز الأمر حده.

(3) كذا.

(4) فطنَ للشيء بفتح الطاء وكسرهما فطنة. (المقوم اللغوي).

(5) (الضلع) بوزن الضرع الميل والجحف. يُقال: ضلعتك مع فلان أي ميلك معه وهواك. وفي المثل: لا تنقش الشوكة بالشوكة فإن ضلعتها معها. يضرب للرجل يخاصم آخر فيقول: اجعل بيني وبينك فلاناً لرجل يهوى هواه. (المقوم اللغوي).

(6) الصحيح أن يقول: جزاء مساءته إليه. (المقوم اللغوي).

لَمْ يَرَ الْخَلِيفَةَ إِلَّا أَنْ يَعْزِضَ عَلَيْهِمُ الْمَصَالِحَةَ، وَيَتْرُكَ الْمَطَافِحَةَ. (1)

وَهُوَ لَا كُوَ أَيْضًا قَدْ أَظْهَرَ لَهُ قَبُولَهُ، وَأَنْ يُعْطِيَهُ مَسْئُولَهُ؛ حَتَّى سَمِعْتُ
غَيْرَ وَاحِدٍ مِمَّنْ شَاهَدَ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّهُ أُرْسِلَ إِلَى الْخَلِيفَةِ مُرَاوِعًا لَهُ،
مُحَاتِلًا (2) بِأَنِّي أُرِيدُ مُصَاهَرَتَكَ وَمُواصَلَتَكَ بِكَرِيمَةٍ وَكَرِيمٍ مِنَّا وَمِنْكُمْ،
حَتَّى غَرَّهْ، وَاسْتَدْرَجَهُ وَأَبْهَمَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ؛ وَنَهَى جُنْدَهُ [عَنِ الْحَرْبِ] بِإِغْمَادِ
السُّيُوفِ وَإِزَالَةِ الْحَرْبِ عَنْ أَمَاكِنِهَا، وَتَقْوِيضِ الصُّفُوفِ، وَاسْتَدْعَاةِ أَنْ
يُخْرَجَ عَنِ الْبَلَدِ أَمْرَاءَ الْجَيْشِ عَلَى طَرِيقِ الْمُرَاوَرَةِ وَالْمَصَالِحَةِ حَتَّى أَخْرَجَ
أَذْوَاءَ الْقَوْمِ وَذَوَاتِيهِمْ عَنِ الْبَلَدِ إِلَيْهِ، (3) ثُمَّ خَرَجَ هُوَ أَيْضًا بِطَمِّهِ وَرَمِّهِ (4)
فِي أَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ مِنْ وُجُوهِ قَوْمِهِ وَرُؤُوسِ أَهْلِهِ مُتَعَمِّمِينَ بِالْعِمَائِمِ السُّودِ،
كَأَنَّهِمُ الْمَصَابُونُ بِتَوَدِيْعِ السَّلَامَةِ وَالْجُدُودِ.

(1) طَفَحَ الْإِنَاءُ: امْتَلَأَ حَتَّى يَفِيضَ. وَيَقْصِدُ أَنَّهُ لَا يَتْرُكُ الْأُمُورَ تَخْرُجُ عَنْ حُدُودِهَا.
(المَقُومُ اللَّغَوِيُّ).

(2) الْحَاتِلُ: الْخِدَاعُ. (المَقُومُ اللَّغَوِيُّ).

(3) أذْوَاءُ الْقَوْمِ: وَجُوهُهُمْ، وَسَادَاتِهِمْ، وَأَهْلُ الذَّوَاتِ مِنْهُمْ. (المَقُومُ اللَّغَوِيُّ).

(4) يُقَالُ: جَاءَهُمُ الطَّمُّ وَالرَّمُّ: أَنَاهُمْ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ وَالْقَلِيلَ. (المَقُومُ اللَّغَوِيُّ).

«كَلَامُ هُولَاكُو مَعَ الْمُسْتَفْصِرِ بَعْدَ تَسْلِيمِهِ»

فَلَمَّا رَأَى هُولَاكُو خَانَ أَنَّ الْأَسَدَ تَرَدَّى فِي زُبَيْتِهِ، وَوَقَعَ فِي حِبَالَتِهِ، اغْتَنَمَ اضْطِيَادَهُ وَأَدَّى مَا عَنْ زَمَانٍ طَوِيلٍ أَرَادَهُ، وَأَنْتَهَزَ فِي شِدَّةِ ضَبَّتِهِ (1) فُرْصَتَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُبَارِسَ غُصَّتَهُ، وَيُطِيلَ فِي مُعَالَجَةِ الْأَمْرِ قِصَّتَهُ، وَقَبَضَ عَلَيْهِ وَعَلَى مَوْكِبِهِ، وَأَذْرَاهُ (2) عَنْ ظَهْرِ جَدِّهِ وَمَرْكَبِهِ مَكْبُولًا فِي عَقْدِ الْقِدِّ، مُدَوِّخًا تَحْتَ الْأَسْرِ [18] وَالشَّدِّ، مَخْطُوفًا (3) بِإِكْتَابِ (4) الْجَدِّ وَإِضَاعَةِ الْجَهْدِ وَالْجِدِّ.

ثُمَّ أَمَرَ بِالْقَبْضِ عَلَى قُوَادِ جَيْشِهِ وَقِيَامِ مَمْلَكَتِهِ وَعَيْشِهِ وَسَادَاتِ حَلَقَتِهِ، وَسَرَوَاتِ بَلَدَتِهِ، وَفُرْسَانِ جُنْدِهِ وَشُجْعَانِ جَيْلِهِ، وَأُمَنَائِهِ وَقُرَنَائِهِ وَأَوْلَادِهِ وَأَقْرِبَائِهِ وَابْنِيهِ اللَّذِينَ اسْتَضَحَبَهُمَا إِلَيْهِ عَلَى إِرَادَةٍ أَنْ يُكْرِمَ مَثْوَاهُمَا لَدَيْهِ.

ثُمَّ أَمَرَ (5) بِإِرَاقَةِ دِمَائِهِمْ وَقَطْعِ دِمَائِهِمْ (6) عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةَ وَحَوَالِيهَا، وَكَانَ لَمْ يَقْتُلْهُ بَعْدُ، فَأَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ مَغْلُوبًا مَكْبُولًا نَاطِرًا إِلَيْهِ قَتْلَهُ، مَنكُوبًا

(1) هنا بمعنى الغضب والحقد.

(2) كذا.

(3) في الأصل: مخطوفاً!

(4) كبّ الشيء يكبّه: قلبه، كبّه لوجهه، فانكبّ أي صرعه.

(5) في الأصل: أمروا!.

(6) الذمّاء والذمام: العهد والأمان والكفالة (المقوم اللغوي).

عَلَيْهِ شَزْرُهُ وَفَتْلُهُ،⁽¹⁾ ضَاحِكًا عَلَيْهِ جَدُّهُ، مُضِيْعًا لَدَيْهِ جِدَّهُ، مُفْرَعًا جَدَّهُ،⁽²⁾ مُفْلَلًا حَدَّهُ، ذَائِقًا مَا أَذَاقَهُ أَبَاؤُهُ الظَّلْمَةَ أَهْلَ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ، لَا بَسًا مَا أَلْبَسُوهُ عَلَى الرَّهْطِ الْعَلَوِيِّ، فَأَخَذَ يُبَكِّتُهُ⁽³⁾ وَيُعَنِّفُهُ وَيُذَكِّرُهُ مَا ارْتَكَبَهُ مِنَ الْأَفَاعِيلِ الْقَبِيْحَةِ وَالْأَعْمَالِ الْمُسْتَشْنَعَةِ الْكَامِلَةِ فِي الْفَضِيْحَةِ، وَيَقُولُ لَهُ:

هَلْ كَانَ شَرِبُ الحُمُورِ، وَضَرْبُ الدُّفُوفِ وَالتُّنْبُورِ، وَالمَلَاعِبَةُ بِالمَلَاهِي، وَمُعَانَقَةُ المَقَابِحِ وَالمَنَاهِي دَابَّ نَبِيكُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَشَرِيْعَةً مُضْطَفَاكُمْ؟ أَوْ كَانَ اللُّوَاطُ بِالعِلْمَانِ وَالاِجْتِمَاعُ بِالْوِلْدَانِ⁽⁴⁾ وَالاِشْتِغَالُ بِالمَعَارِفِ وَالقِيَانِ مِنْ سِيرَتِهِ وَطَرِيقَتِهِ؟.

وَعَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مَنَوَاتِهِ⁽⁵⁾ وَمَذْمَمَاتِهِ وَمَعَايِبُهُ وَمَسَبَّاتِهِ مَا اسْتَحَى مِنْهُ إِبْلِيسُ وَجُنُودُهُ، وَخَجَلَ مِنْهُ نَمْرُودٌ وَوُفُودُهُ.

وَقَدْ أَحْضَرَ مَا أَخْرَجَ مِنْ دَارِهِ مِنْ أَنْوَاعِ المَلَاهِي مِنْ الدُّفُوفِ المُرْصَعَةِ وَالصَّفَانَاتِ وَالبَرَابِطِ وَالعِيدَانِ المَذْهَبَةِ وَجَمِيعِ أَثَاثِ الشَّرَابِ وَالحَوَابِي⁽⁶⁾ المَمْلُوءَةِ مِنَ الحَمْرِ الذَّهَبِيَّةِ وَأَوَانِيهَا الفِضِّيَّةِ وَالقِينَاتِ المَغْنِيَّةِ وَالجَوَارِي

(1) الشزر الغضب. والفتل: القوة والشدة. (المقوم اللغوي).

(2) الجد: كسر ما هو صلب. (المقوم اللغوي).

(3) يبكته: يقرعه ويوتخه. (المقوم اللغوي).

(4) في الأصل: الوالدان.

(5) يحتمل: هفواته.

(6) بمعنى قربات، قدح وأقداح.

المُطْرِبِيَّةَ وَالغِلْمَانَ الرَّؤْدِ⁽¹⁾ الْحَسَانَ وَالْمُسْبَكَرَاتِ⁽²⁾ الرَّقَاصَةَ وَفُنُونِ أَدَاةِ
الْمَيْسِرِ مِنَ النَّزْدِ وَالشَّطْرَنْجِ الْمُرْصَعَةِ [19] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. «وَمَعَ هَذَا فَقَدْ
كَانَ إِمَامَ الْقَوْمِ وَمُقْتَدَى الْأُمَّةِ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ».

فَلَمَّا عَدَّ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَسَاوِينِهِ، وَثَبَّ عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ، وَزَبَنَهُ زَبْنَةً فِي كَشْحِهِ،⁽³⁾
[وَقَالَ:] «اقتلوه رُكْلًا بِالْأَرْجُلِ وَلِكْرًا بِالْأَيْدِي مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْتَقِيَ بِسُفْرَةٍ
سَيْفٍ».

وَكَانَ قَبْلَ قَتْلِهِ، قَتَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ابْنَهُ أَبَا بَكْرٍ، فَأَمَرَ أَنْ يُلْقَى حَوْبَاؤُهُ إِلَى
ضَوَارِي الْكَلَابِ،⁽⁴⁾ وَعُتَاةِ الْعُقْبَانَ وَالْغُرَابِ.

(1) وكتب الجوهر بحول المرأة الرؤد: والرؤد من النساء الشابة الحسنة (لسان العرب [ابن منظور، بيروت، دار الفكر، 1414]: 169/3) وفي الحقيقة هذا المعنى ينسحب إلى وصف الغلمان.

(2) في الأصل: المختكرات. المسبكر: بمعنى الشاب التام المعتدل.

(3) الزبن: الدفع. والكشع بوزن الفليس: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي. (المقوم اللغوي).

(4) الحوباء النفس. ويقصد جثته. (المقوم اللغوي).

«هجومُ المفولِ على بغداد»

فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ أَمْرِهِ وَإِمَاتَةِ ذِكْرِهِ وَإِطْفَاءِ سُعْلَتِهِ، وَإِخْمَادِ جَهْرَتِهِ، وَجَزَاةِ
عَنْ بَطْنَتِهِ⁽¹⁾ وَفِتْنَتِهِ وَأَرَاخِ الْعَالَمِينَ مِنْ شَرِّ شُبُهَتِهِ، أَمَرَ جُنُودَهُ الْمُغَالِيَةَ
وَوُفُودَهُ التُّرْكِيَّةَ التَّتَارِيَّةَ بِالزَّخْفِ إِلَى بَغْدَادَ وَقَتَلَ أَهْلِهَا وَنَهَبَ أَمْوَالَهَا
وَسَبَى جَوَارِيهَا وَأَطْفَالَهَا،⁽²⁾ فَشَدُّوا شِدَّةَ اللَّيْثِ عَدَتِ⁽³⁾ وَهِيَ غِضَابٌ،
وَكَرَّوْا كَرَّةَ الذُّبَابِ إِلَى التَّغْدَةِ وَهِيَ مِنَ الْجُوعِ فِي عَذَابٍ، وَرَكِبُوا
كَالصَّوْبِ الْهَاطِلِ⁽⁴⁾ وَالسَّيْلِ الْهَائِلِ، وَالْجَمَلِ الْهَائِجِ وَالْبَحْرِ الْهَائِجِ،
مُتَشَمِّرِينَ لِلانْتِهَابِ، مُتَهَيِّئِينَ لِلانْتِلَابِ، صَائِبِينَ عَلَيْهَا سَيَاطِ الْعَذَابِ،
وَعَشَوَهَا مِنْ غَيْرِ دِفَاعٍ وَلَا نِزَاعٍ، شَاهِرِينَ سَيْوْفَ الْغَضَبِ مَعَ قُلُوبِ
مُوقَدَةٍ وَلَا كَاللَّهَبِ عَلَى أَوْلِيكَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَأَذَكُوا عَلَيْهَا
ضِرَامَ الْانْتِقَامِ وَشَرَرَ الشَّرِّ وَالْخِصَامِ، وَأَهْبُؤْا عَلَيْهَا شَرَارَةَ الْإِغَارَةِ،
وَأَوَارَةَ الْبَوَارَةِ،⁽⁵⁾ وَأَوْقَدُوا عَلَيْهَا مِنْ نَارِ الْقَتْلِ وَالانْتِصَالِ وَالْإِسَارِ

(1) البطنة: الشره للأكل والطعام. (المقوم اللغوي).

(2) في الأصل: واطعاً؟.

(3) في الأصل: غدا؟. (تصحیح قیاسی).

(4) الصَّوْبُ: الانصَابُ مِنْ صَبَّ إِذَا أَرَاكَ فَانصَبَ كَالانصِيَابِ؛ يُقَالُ: صَابَ الْمَطَرُ
صَوْبًا وَانصَابَ كِلَاهُمَا بِمَعْنَى انصَبَّ. الصَّوْبُ: الصَّيْبُ كَسَيْدٍ. يُقَالُ: مَطَرَ صَوْبًا
وَصَيْبًا. (المقوم اللغوي).

(5) الأوار: اللهب وحر النار. والبوار: الهلكة. ودار البوار: جهنم. ومنه قول الله
تعالى: (أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ جَهَنَّمَ

وَلَطَى الْحُرُوبِ وَالْكُرُوبِ وَالتَّبَارِ.

فَمَاذَا أَقُولُ مِمَّا أَبَدُوا بِهَا مِنْ تَخْرِيْبِ الْقُصُورِ وَالدِّيَارِ، وَتَحْرِيقِ الْبُيُوتِ
بِنَارِ الضَّرَارِ، وَوَقْعِ الشَّغَارِ، وَسَلِّهِمْ سُيُوفَ الْحُتُوفِ عَلَى أَهْلِهَا زُخُوفًا
بَعْدَ زُخُوفٍ، وَالْوَفَاَ بَعْدَ الْوُفِ، وَمَشَقِّهِمْ بِالرَّمَاكِ الطُّوَالِ،⁽¹⁾ وَرَشَقِّهِمْ
بِالنَّبَالِ ذَوَاتِ النَّصُولِ وَالنَّصَالِ،⁽²⁾ تُغْرَ النَّسَاءِ وَالْأَيَاتِ⁽³⁾ الرَّجَالِ وَأَفْوَاهِ
الْوِلْدَانِ وَالْأَطْفَالِ وَ[20] وَالشَّبَانَ وَأُولَاتِ الرَّعَاثِ وَالْحِجَالِ⁽⁴⁾،
وَإِسَالَتِهِمْ أَنْهَارَ الدِّمَاءِ حَتَّى لَمْ يُمَيِّزْ مَجْرَى دِجَلَةَ، أَمْجَرَى الدِّمَاءِ هُوَ أَمُّ
الْمَاءِ. وَقَتَلُوا قِتْلَةً⁽⁵⁾ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا تَحْتَ السَّمَاءِ.

فَأَنْتَ يَا أَخِي! بِشَوَاطِيِ الشَّطِّ، وَكَمْ بِهَا مِنْ صَرَغَى صَائِرِينَ طُعْمَةَ
لِلسَّيْدِ وَالْأَسُودِ،⁽⁶⁾ وَقَتَلَى مَكْبُوبِينَ عَلَى الْأَذْقَانِ وَالْحُدُودِ، وَالرُّضْعِ
الْمُدْخَرَجِينَ بِأَسْلِ السُّيُوفِ مِنَ الْمُهُودِ.⁽⁷⁾ وَقَدْ صَارَتْ جَمَاجِمُ الرُّؤُوسِ

يَصْلُونَهَا وَيَنْسُ الْقَرَارُ). سورة إبراهيم الآيتان (28 - 29). (المقوم اللغوي).

(1) إخراجها ورميهم بها. (المقوم اللغوي).

(2) النصال: جمع نصل، وهو حديدة الرمح. (المقوم اللغوي).

(3) في الأصل: ليات.

(4) الرعاث: جمع رعثة بسكون العين وتحريكها: ما عُلق بالأذن من «القرط» ونحوه.

والحجال: جمع حجلة وهي بيت (غرفة) المرأة الخاصة في الدار. (المقوم اللغوي).

(5) القِتلة: اسم الهيئة من القتل، أي طريقة القتل وهيبتها. والقِتلة: اسم المرة من القتل. (المقوم اللغوي).

(6) السَّيْدُ: الذئب. والأسود معروفة. (المقوم اللغوي).

(7) الأسل: نبات شوكتي كثير الأغصان، والرماح والنبل، وكل ما رقق وحد من

الحديد من سيف أو سكين أو سنان. والآخر هو المقصود هنا. (المقوم اللغوي).

مُلْتَطَمَ قَوَائِمِ الْأَفْرَاسِ، وَعِظَامُ الْمُتُونِ وَالْحَوَاصِرِ مُزْدَحَمَ الْأَوْظِفَةِ⁽¹⁾
 وَالْحَوَافِرِ، وَكَمْ مِنْ جِيَاعِ الضُّبَاعِ وَغَرَثَى السَّبَاعِ⁽²⁾ قَدْ شَبِعَتْ بُطُونُهَا
 إِلَى سَنَةِ مِنْ أَشْلَاءِ الصَّرَاعِ وَأَعْضَاءِ الْمَنْزُوفِينَ الصَّرَاعِ،⁽³⁾ وَكَمْ مِنْ
 عُقْبَانٍ وَنُسُورٍ قَدْ أَوْدَتْ بِهَا⁽⁴⁾ التُّخْمَةُ مِنْ لُحُومِ الْوُجُوهِ وَالصُّدُورِ، وَقَلَعِ
 الظُّهُورِ وَالنُّحُورِ.

(1) الأوظفة: مُسْتَدَقُّ الذراع والساق من الخيل والإبل وغيرهما. (المقوم اللغوي).

(2) (الغَرَثَانُ) بِوَزْنِ الْعَطَشَانِ الْجَائِعِ. ومنه قول حسان بن ثابت في مدح عائشة:

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرَبِيَّةِ *** وَتَصْبِحُ غَرَثَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

(المقوم اللغوي).

(3) الصَّرَاعُ: مبالغة اسم الفاعل. الضارعون المستنجدون. (المقوم اللغوي).

(4) في الأصل: لها.

«مِزَاتُ الْعَبَّاسِيِّينَ عَلَى أَيْدِي الْمَغُولِ»

وَشَدَّهِمُ الْبَاقِينَ مِنَ الشَّيْبِ وَالشُّبَّانِ وَالْمُرَّغَرِيِّينَ وَالغُلَّامَانَ،
وَالْعَقَائِلَ⁽¹⁾ الْبُذْنَ السَّمَانَ وَالشَّبَابَ⁽²⁾ الْغَيْدِ الْحَسَانَ، وَالْحُرُودَ⁽³⁾ النَّوَاعِمِ
نُعُومَةَ الرَّطْبِ مِنَ الْأَغْصَانِ، وَالْعَذَارَى الْأَبْكَارِ كَأَنَّهَا جَوَارِي الْجَنَانِ،
جُعِلَتْ فِي شَدِّ الْوَثَاقِ وَقَيْدِ الرَّبَاقِ،⁽⁴⁾ مَغْلُولَةً الْأَيْدِي إِلَى الْأَعْنَاقِ،
مَبِيعَةً بِشَمَنِ بَخْسٍ فِي الْأَفَاقِ، لَا سِيَّمَا فِي كُورِ خُرَّاسَانَ وَالْعِرَاقِ.

وَمَا عَسَى أَنْ أَقُولَ مِنَ الْخَزَائِنِ الْقَدِيمَةِ وَالذَّفَائِنِ الْجَسِيمَةِ وَالطَّرْفِ⁽⁵⁾
التَّلْلِ الْوَفِيرَةِ، وَالْغَنَائِمِ الْجَمَّةِ الدَّثِيرَةِ،⁽⁶⁾ وَالْمَذْخُورَاتِ الْمُرُوثَةِ، خَلْفًا
عَنْ سَلَفِ التِّي لَمْ يَطُلْ إِلَيْهَا أَيْدِي تَلْفٍ، وَالنَّفَائِسِ الْمَحْفُوظَةِ مَدْزَمِنِ
الْأُمُويَّةِ وَدُورِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَالْعِتَاقِ ذَوَاتِ الْأَمْهَارِ وَالْأَسْلِحَةِ وَالْأَمْتِعَةِ

(1) في الأصل: عقائل.

(2) في الأصل: الشراب!.

(3) الخريدة: البكر من النساء.

(4) (الرَّبْقُ) بالكسر حَبْلٌ فِيهِ عِدَّةٌ عُرَا تُشَدُّ بِهِ الْبَهْمُ، الْوَاحِدَةُ مِنَ الْعُرَا (رِبْقَةٌ) وَالْجَمْعُ (رِبْقٌ) وَ(أَرْبَاقٌ) وَ(رِبَاقٌ) وَفِي الْحَدِيثِ: لَكُمْ الْعَهْدُ مَا لَمْ تَأْكُلُوا الرِّبَاقَ. (المقوم اللغوي).

(5) الطَّرْفُ: الْهَالُ الْمُسْتَفَادُ. إِضَافَةُ الْمَقُومِ اللَّغُويِّ: الْهَالُ الطَّارِفُ الْمُسْتَحْدَثُ، وَالتَّالِدُ مَا كَانَ إِرْتَاً قَدِيمًا.

(6) الدَّثْرُ: الْهَالُ الْكَثِيرُ.

التي لا يُحصيها فكرُ الاعتبارِ في طولِ الليالي والنهارِ.

حتى سمعتُ أنهم جمعوا أنعامَ تلكَ البقاع والنواحي لحملِ ما نهبوا
وسلبوا وجمعوا منها واختزنوها،⁽¹⁾ فما كادت تحمِلُ إلا القليلَ من تلكَ
النهبِ والنفائسِ [21] الخطيرةِ والغنائمِ الكثيرةِ.

وكان [العبا]سيَّةُ على ما هو معروفٌ من حالهم يجسئون أقرباءهم
صغاراً وكباراً ويوكلون عليهم الحامين والبطارقة حتى كان
المو[لو]ديشيب ولم ير إلا مولده، فإذا دخلت الأمغلة بغداداً،⁽²⁾ قتلوهم
عن آخرهم حتى لم يبق منهم نافخ ضرام،⁽³⁾ ولا حايي كلام.

واستأصلوا ملكَ العباسية واخترموا عروقهم، وأخذوا رعودهم
بين الخليقة وبروقهم، وخرّبوا ديارهم، وطمسوا آثارهم ولبدوا
غبارهم، وأطفؤوا أنوارهم وأنضبوا أنهارهم وجعلوهم مطموسي
الرُسوم، مخفيي البدور والنجوم، وجعلوا قصورهم قبورهم، وجزوهم
شُرورهم وغرورهم، وأرجعوا إلى صدورهم بهتانهم وزورهم «وكم
قصمنا من قرية كانت ظالمةً وأنشأنا بعدها قوماً آخرين».⁽⁴⁾

(1) في الأصل: احتربوا. (تصحیح قیاسی).

(2) في الأصل: البغداد.

(3) يقال: ما فيها نافخ ضرمة، أي: ما فيها أحد ينفخ ناراً.

(4) سورة الأنبياء الآية (11).

«وقوع سنة الله على العباسيين لظلمهم على الشيعة والعلويين»

وَكَانَ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَعَصِمُ هَذَا أَمَرَ تَعْصَبًا وَعَدَاوَةً بِالْإِغَارَةِ عَلَى أَهْلِ الْكَرْخِ مِنْ بَغْدَادَ، وَقَتَلَ أَهْلِيهَا وَسَبَى جَوَارِيهَا حَتَّى دَخَلُوا عَلَى الْبَنَاتِ الْعَلَوِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الشَّيْعِيَّةِ، وَأَخْرَجُوهُنَّ مِنْ دِيَارِهِنَّ سَبَايَا يُعْنَى فِي بَغْدَادَ، وَأَمْوَاهُمْ كَذَلِكَ. وَكَانَ أَرْسَلَ لِذَلِكَ الْأَمْرِ بِأَهْلِ كَرْخِ ابْنَهُ أَبَا بَكْرٍ.

فَلَمْ تَنْقُضِ تِلْكَ السَّنَةَ عَلَى تِلْكَ الظَّلْمَةِ حَتَّى أُذِيقُوا مِنْ مِثْلِ تِلْكَ الْكَأْسِ، وَأَشْرَبُوا مِنْ تِلْكَ الْجُرْعِ مِنَ الْبَأْسِ، وَصَدَّقَ اللَّهُ بِهِمْ قَوْلَهُ: «وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعُضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»⁽¹⁾.

وَجَرَى عَلَى سُنَّتِهِ الْمَحْمُودَةِ، وَطَرِيقَتِهِ الْمَعْهُودَةِ «فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا»⁽²⁾.

وَكَانَتْ جَرَتْ وَقَعَةُ التَّتَارِ الْمَغُولِ وَشِدَّةُ وَطَأْتِهِمْ وَصُعُوبَةُ فِتْنَتِهِمْ عَلَى بَغْدَادَ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْبِلَادِ الْمَعْمُورَةِ وَالْأَمْصَارِ الْمَشْهُورَةِ فِي [22] فِي سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ.

أَمَّا عَلَى نَفْسِ بَغْدَادَ، فَفِي إِحْدَى جُمُعَاتِ وَسَطِ شَهْرِ الْحَرَمِ مِنَ التَّارِيخِ الْمَذْكُورِ.

(1) سورة الأنعام الآية (129).

(2) سورة الأحزاب الآية (38).

«قصيدة المؤلف حول سقوط بغداد»

ثُمَّ إِنَّ لِلنَّاقِلِ مِنَ الْعَجَمِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ الْحُسَيْنِ⁽¹⁾ بِنِ عَلِيِّ الْبَطِينِيِّ -
 قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ - هَذِهِ الْأَبْيَاتِ عِنْدَ سَمَاعِ وَقَعَةِ بَغْدَادَ، وَرُؤْيَةِ أَسْرَاهَا
 وَمَجْلُوبِيهَا وَهِيَ قَوْلُهُ:

جَدِيرٌ بِمَنْ يَهْوَى الْمَشُومَةَ شُومَهَا	جَهُولٌ غَوَى مَنْ أَعْجَبَتْهُ وَشُومَهَا ⁽²⁾
عَجُوزٌ تَطَّرَتْ فِي ثِيَابِ فَتِيَّةِ	وَتِلْكَ هِيَ الدُّنْيَا غُرُورٌ تَعِيْمُهَا
فَمَا صَارَ بَرَقٌ ⁽³⁾ مِنْ حَوَادِعِ حُسْنِهَا	سِوَى بَسْمَةِ خَدَاعَةٍ مَنْ يَرُومَهَا
يُغَرُّ بِقُبْحِ الْفِعْلِ حُسْنُ ابْتِسَامِهَا	كَخَطْفَةِ بَرَقٍ أَبْلَسَتْ ⁽⁴⁾ مَنْ يَشُومَهَا ⁽⁵⁾
فَلَوْ خَلَبَتْ ⁽⁶⁾ عَيْنَ الْعَقُولِ بُرُوقُهَا	هَلِ الْأُذُنُ لَمْ تُفْرَعْ وَجَدَّكَ لَوْمَهَا
فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْمَعْ بِقُبْحِ فِعَالِهَا	فَهَاتِ إِلَى بَغْدَادَ أَقْوَتَ ⁽⁷⁾ رُسُومَهَا
كَأَنَّ كَانَ بَغْدَادُ عَرُوسًا جَمِيلَةً	فَحَضَّبَهَا حُمُرُ الدَّمَاءِ مُقِيمَهَا
فَقَدْ غَيَّبَتْ ⁽⁸⁾ تَاتَارُ نَضْرَةَ وَجْهِهَا	وَمَا خِلَتْهَا تُبْتَارُ لَوْلَا هُجُومَهَا

(1) في الأصل: الحسن وفي سائر الموارد «الحسين».

(2) الوشوم: العلامات. (المقوم اللغوي).

(3) في الأصل: صارق.

(4) بلس: ندم.

(5) يشوم ويشون: يخزن. (المقوم اللغوي).

(6) خالبه واختلبه: خادعه.

(7) أقوت: خلت من أهلها.

(8) غاضت بحيرة ساوة: أي غار ماؤها وذهب!

هُوَ لَأَكْوَرُ قَدْ أَجْرَى إِلَيْهَا هَلَاكَهَا
 كَأَنْ حَسَدُ الدُّنْيَا عَلَيْنَا فَلِئِذَا
 بِهَا اِزْدَاثَتْ الْأَفَاقُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
 وَقَدْ صَبَّيْتُ تَائِرًا سَوَاطِعَ عَذَابِهَا
 شُمُوسٌ بِهَا كَانَتْ وَأَقْمَارٌ مُلْكِيهَا⁽⁴⁾
 [23] تَبْكِي عَلَيْنَا بِالدُّمُوعِ دَوَارِفًا
 وَيَبْكِي عَلَيْنَا دِجْلَةً بِعُيُونِهِ
 وَتَبْكِي هُمْ يَوْمَ الْمُنَاسِكِ كَعَبَّةً
 لَقَدْ عَضَّتْ الدُّنْيَا عَلَيْنَا أَنْامِلًا
 فَأَيِّنَ كِرَامٍ سَادَةٌ وَخَلَائِقُ
 بِهِمْ فَخَرُّ الْحَضْرَاءِ يَوْمَ فَخَارِهَا
 فَأَبْنَاءُ عَبَّاسٍ تَبَدَّدَ جَمْعُهُمْ
 أَكَلْتُ⁽⁹⁾ لُحُومًا مِنْهُمْ وَدِمَاءَهُمْ
 بِهِ اِنْتَشَرَتْ⁽¹⁾ يَوْمَ الْحِجَالِ قَطِيمِهَا⁽²⁾
 تُشْنَى بِهَا وَالغَيْدُ شَوْهَ خُصُومِهَا
 كَمَا زَانَ⁽³⁾ أَسْبَابَ السَّمَاءِ نُجُومِهَا
 وَقَدْ قُدَّ حَلَقٌ لَمْ تُصِبْهُ شُمُومِهَا
 دَهَاها عَلَى أَيْدِي الدَّوَاهِي غُيُومِهَا
 حَلِيظُ الدِّمَاءِ، صَيْنُ الْبِلَادِ وَرُومِهَا
 إِلَى أَنْ تُرَى جَفَّتْ عَلَيْنَا سُجُومِهَا⁽⁵⁾
 وَزَمَزَمُهَا مُرًّا وَمَرًّا حَطِيمِهَا⁽⁶⁾
 وَقَامَ غُرَابُ الْبَيْنِ فِيهَا وَبُومِهَا
 تَهَايَهُمْ صَيْدُ الْمُلُوكِ قُرُومِهَا⁽⁷⁾
 إِذَا صَادَفَ الْغَبْرَاءَ يَوْمًا قُدُومِهَا
 وَأَطْوَادُ⁽⁸⁾ مَجْدٍ مِنْهُمْ [مَنْ] يَوْمِهَا
 وَذَلِكَ دَأْبٌ فَلَيْلَمُ مَنْ يَلُومِهَا

(1) في الأصل: انتشرت.

(2) القطم: شهوة اللحم والضراب والنكاح.

(3) زان: ضاق.

(4) في الأصل: ملكة.

(5) سجومها: دموعها. (المقوم اللغوي).

(6) الحطيم: ما بين زمزم والحجر في المسجد الحرام. وهي تسمية جاهلية، وكان الرجل يحلف ثم يلقي سوطه أو نعله أو قوسه فيه ويحطمها. (المقوم اللغوي).

(7) كناية عن السادات والعظماء. (والقروم، الرجل الذي لا يقبل الآخرين ولا الآخرين يقبلونه. ولذلك قيل: هذا سيد قروم وجمعها (قروم).

(8) الأطواد: جمع طود وهو الجبل. (المقوم اللغوي).

(9) يتحدث عن لسان حال الدنيا.

لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَتْ بُعُوبِي كَثِيرَةً لِيُذَكِّرَ لَكُمْ بَهْرَامُهَا وَسَدُومُهَا (1)
فَقَتَلْتُ وَاخْتَصَّيْتُ دِمَاءَهُمْ بِكَفِّي وَإِنِّي قَلٌّ مِنِّي رُؤُومُهَا (2)
يُنَادِي لِسَانَ الْحَالِ عَنْهَا مُفَاصِحاً قَوَائِلَ حَجٍّ قَدْ تَشَدُّ عَكُومُهَا (3)
لِيَلْزِمَ سُرَاةً (4) الْحَجَّ عُقْرَ دِيَارِهِمْ وَيُوهِنَ لَهُمْ حَوْلَ الْبُيُوتِ عَزُومُهَا (5)
فَقَدَفَاتَ قَوْمٌ يُرْخِصُونَ نَوَاهِمَ لِقِصَادِ بَيْتِ اللَّهِ أَوْدَى (6) كَرِيمُهَا
فَأَفٌّ لِدُنْيَا لَمْ تُذِقْكَ عُسَيْلَةً يَكُونُ غَدَاهَا سُمُّهَا وَسَمُومُهَا

وَلَمَّا فَرَّغَ هُوَ لَاكُو مِنْ أَمْرِ بَغْدَادَ وَغَيْرِهَا مِنْ الْبِلَادِ اسْتَرَاحَ سَنَةً،
وَأَرْسَلَ بِالذَّخَائِرِ وَالْغَنَائِمِ إِلَى حَضْرَةِ مُنْكَاخَانَ، وَبَعْضُ بَنَاتِ الْحَلِيفَةِ
الْمُسْتَعْصِمِ كَانَتْ مِنْ سُوقَاتِهِمْ، وَالسُّوقَاتُ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ هَدِيَّةِ السَّفَرِ؛
تَهِيًّا لِبِلَادِ الشَّامِ وَمِضْرًا، وَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا.

وَإِذَا كُنَّا أَتَمُّنَا هَذَا الْكِتَابَ لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ مِنْ حَالِهِ إِلَّا هَذِهِ الْجُمْلَةَ الَّتِي
ذَكَرْنَاهَا عَلَى سَبِيلِ [24] الْجُمْلَةِ.

- (1) بهرام: كوكب المريخ. وهو هنا اسم لواحد من خمسة من ملوك فارس، ولعله «بهرام جور» الذي نشأ في اليمن ثم صالح الروم بعد هزيمته أمامهم. وسدوم مدينة قوم النبي لوط عليه السلام. (المقوم اللغوي)
- (2) الرُّؤوم اسم الفاعل من رثم. رثمت الأنتى ولدها: لزمته وعطفت عليه. (المقوم اللغوي).
- (3) العكوم ما تشد به الأمتعة والأشياء. (المقوم اللغوي).
- (4) السُرَاة: المسافرون ليلاً. (المقوم اللغوي).
- (5) العزوم من أعد الشيء وتهياً له. (المقوم اللغوي).
- (6) أودى: هلك ومات. (المقوم اللغوي).

«خاتمة الكتاب»

قَالَ النَّاقِلُ الْمُعَرَّبُ: فَهَذَا نَحْنُ نَقَطُ الْكَلَامَ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَجَمِيلِ لُطْفِهِ وَكَرَمِهِ، وَجَزِيلِ مَنِّهِ وَنِعَمِهِ، فَإِنَّهُ الْمُؤَفَّقُ لِإِتْمَامِ الْأُمُورِ، وَالْمُؤَصِّلُ لِأَوَاخِرِهَا بِالصُّدُورِ.

فِي أَوَاسِطِ رَجَبِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ.

تَمَّ هَذَا الْكِتَابُ بِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَنْنِهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ قَبْلِي [قَبِيلَ] وَقَتِ الظُّهْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي شَهْرِ اللَّهِ الْمُبَارَكِ «دِرْ پَنج»⁽¹⁾ جَمَادَى الْآخِرَةِ فِي تَارِيخِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَثَمَانِ مِائَةٍ مِنْ هِجْرَةِ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، عَلَى يَدَيْ الْعَبْدِ الْفَقِيرِ حُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُمَا وَسَتَرَ⁽²⁾ عُيُوبَهُمَا «دُر» مَدْرَسَةِ الْفَقِيهِ الْفَاضِلِ الْكَامِلِ الْفَقِيهِ أَحْمَدَ يُوجَانِي⁽³⁾ أَطَالَ اللَّهُ تَعَالَى بَقَاءَهُ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ. وَالسَّلَامُ.

(1) كذا. إضافة المقوم اللغوي: «دِرْ پَنج» در كلمتان فارسیتان تعینان (فی) و (پنج) أي العدد خمسة.

(2) في الأصل: سطر!.

(3) «يو» لم تنقط هذه الكلمة في المخطوطة.



المحتويات

7	مقدمة
9	المؤلف ونسخة رسالته
12	علاقة ترجمة تبصرة العوام بالرّسالة الحاليّة
15	عن تصحيح هذه النسخة
19	مقارنة بين محتوى الرّسالة والمصادر الأخرى
19	مجيء المغول
23	رواية رسالة أحوال تاريخ المغول
23	جنكيز خان وبداية حوادثه
25	الحرب مع النّبائيّين
28	جنكيز خان في الصّين
29	جنكيز خان والخواارزميون
35	خلفاء جنكيز خان
43	حملة هولوكو على إيران وفتح قلاع الإسماعيليّة
51	فتح بغداد
65	أحوال ملوك التتار الأمغلة الذين ظفروا بالملك في زماننا
67	بداية أمر جنكيز خان وراثسته على قومه
71	حروب جنكيز خان مع النّبائيّين

- 74 سلطنة جنكيز خان على بلاد الصين
- 76 جنكيز خان وسلطان خوارزمشاه
- 79 جلوس أوكتاي قآن على سرير الملك بعد چنگيز خان
- 81 سلطنة جيوك خان
- 82 اختلاف المغول على السلطة وجلوس منكوخان
- 84 منازعة منكوخان مع المعارضين لسلطته
- 88 هجوم هولاکو على بلاد إيران وقلاع الإسماعيلية
- 91 خورشاه الإسماعيلي، نصير الدين الطوسي والمغول
- 94 توجه هولاکو إلى بغداد بعد أخذ قلاع الملاحدة
- 99 كلام هولاکو مع المستعصم بعد تسليمه
- 102 هجوم المغول على بغداد
- 105 ميراث العباسيين على أيدي المغول
- 107 وقوع سنة الله على العباسيين لظلمهم على الشيعة والعلويين
- 108 قصيدة المؤلف حول سقوط بغداد
- 111 خاتمة الكتاب
- 115 فهرست الاسماء والاماكن
- 119 صورة المخطوط

فهرس الأسماء والأماكن

المشايع 57	الأمغل 16، 92
النبياتيون 27، 28، 67، 71، 73،	البطيبي الحافظ 10
26	التتار 32
إسماعيليون 46، 49	الجركس 36
إيران 20، 32، 37، 43، 46، 88	الجيش العباسي 62
أبناء الخليفة 59	الخطا 28، 29
أبناء توشي 38	الخليفة المستعصم بالله 60، 99
أبناء تولي خان 40	الخوارزميون 19، 26، 29، 30، 33
أبناء جنكيز خان 35	الروس 35
أبو بكر بن المستعصم 101	السلطان محمد خوارزمشاه 34
أترار 31	الشام 20
أحمد يوجاني 11	الصين 28، 30، 37، 74
أستان 45	العباسيون 52، 58، 107
أستراباد 10	العراق 20
ألتون 74	العلويين 58، 107
ألتون خان 28، 29	القائنة 82، 88
الموت 45، 46، 90، 93	القراخانيون 26، 29، 30
أمنغون بن جغتاي 35	القفجاق 31، 72، 76

أهل البيت النبوي 100، 59	28، 29، 30، 31، 33، 34، 40،
أهل الكرخ 62	41، 67، 68
أوكتاي 79، 85، 37، 35، 25	جيوش المغول 20
أولتاي الكبيرة 36	خاتون 43
أونان 40	خراسان 89، 30
باتو خان 82، 79، 38، 37، 37	خلفاء أوكتاي قآن 36
بركت خان 80	خلفاء جنكيز خان 35
بغداد 8، 52، 62، 94، 102، 106،	خواجه أغل 43
108، 107	خوارزمشاه 76
بلاد ما وراء النهر 31	خوارزمشاهيين 31
بلواران 40	دار الكف 22
تاينك خان 24	دواتدار 58، 56، 55
تركستان 30	ديوك خان 39
تموجين بن يوسكاي بهادر 24	رشيد الدين فضل الله 23
توراكيينا خاتون زوجة أوكتاي 39	سلطان خوارزم 76، 33
توران 37	شرماغون 95، 86، 84، 53، 43، 42
تولي خان 35	شواطئ دجلة 58
جبال العراق 45	طبرستان 34
جنخطاي 80	عبادة الأصنام 21
جرماغول 36	علاء الدين محمد بن حسن 47
جعفر خواجه 74	قائن 47
جغتاي 38	قد توغان 33
جنكيز خان 26، 25، 24، 23، 22، 14،	قراقروم 67، 25، 14، 8،

ملوك الخطا 28	قلاع الإسماعيلية 43، 45، 88
منكو خان 8، 40، 41، 82، 84، 85،	قلاع الملاحدة 44
93	قلعة تولك 35
مهستان 46	قلعة مدينة فيروز كوه 35
مومريدي دويخان 39	قم كيجك 33
نصير الدين الطوسي 49، 91	قهستان 48
نهر جيحون 34	قوبلاي 43
نور الدين إبراهيم ابن أفراسياب الطبري	قوشلاميشي 27
أفروز آبادي 10	قيات 24
هولاكو 43، 49، 50، 56، 63، 82،	كت يوقا 44
94، 98، 99	كرمانشاه 51
وادي تيمشه 34	كوجلك خان 22، 26، 29، 33
واركؤن رؤساء المسيحية 57	كور خراسان 61
	كورخان 29
	كيوك خان 35، 81
	مازندران 34
	مجلس القوريلتاي الكبير 39
	محمد الخفاف 14
	محمد بن حسين بن حسن الأب الزازي 9
	محمد رضا الحسيني الجلاي 17
	مصر 20
	مغولستان 49
	ملحدستان 45، 46



**مكتبة الراقدين للكتب
الالكترونية
<https://t.me/ahn1972>**